AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (٢١١٧) - السنة (٤٩) جمادى الآخرة ١٤٣٩هـ / ١ مارس ٢٠١٨م

الكويت:
ذكرى الاستقلال والتحرير.. والحاجة لمصالحة وطنية

الفن.. وتغيير المجتمعات

تربية النشء.. في ظل الواقع الجديد وتطوراته

جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

@mugtama www.mugtama.com facebook.com/mugtama @mugtama

الكويت ٧٥٠ فلساً - السعودية ١٠ ريالات - البحرين دينار بحريني - قطر ١٠ ريالات - سلطنة عمان ريال عماني - الأردن ١,٧٥٠ دينار أردني - لبنان ٤٥٠٠ ليرة - المغرب ٢٣ درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

تبرع.. عن طريق الاستقطاع

بيت التمويل الكويتي
011140010577

بنك الكويت الوطني
1000314577

للتواصل: 24834414 - 94064060 - 94064061

جمعية التكافل
لرعاية السجناء

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (٢١١٧) - (السنة ٤٩)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً
تأسست عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م
جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت

رأس مجلس إدارتها
حتى ١٤٢٧/٨/١٠هـ - ٢٠٠٦/٩/٣م
عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير
محمد سالم الراشد

سكرتير التحرير
جمال الشرقاوي

الإخراج الفني
مصطفى عزالدين

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة - الرمز البريدي (١٣٠٤٩)

التحرير
٢٢٥١٤١٨٠ - ٢٢٥١٩٥٣٩
٢٢٥١٣٦١٦ (داخلي ٢٠٥).
mujtamaa@gmail.com
info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع
تليفاكس: ٢٢٥٦٠٥٢٥ (٠٠٩٦٥)
sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني
www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح
www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

في هذا العدد

موضوع الغلاف

تربية النشء..
في ظل الواقع الجديد وتطوراته

- مكرمات سمو الأمير.. نهر من العطاء 6
- جمعية الإصلاح.. والعمل الخيري في شهر 8
- الأزهر.. احترق في نار الأزمات السياسية 34
- الغوطة الشرقية.. الهدنة حبر على ورق 37
- شهر على عملية «غصن الزيتون» بعفرين 38
- د. عصام عدوان: اللاجئون الفلسطينيون سيتحولون لقنابل تنفجر في وجه الاحتلال وواشنطن 42
- استقالة رئيس وزراء إثيوبيا وتداعياتها على «الأورومو» .. 44
- القدس: مسارات العمل في خارطة المقاومة 48
- الفن.. وتغيير المجتمعات 52

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات:
امتياز الإعلان: مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت: 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية: الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837
فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

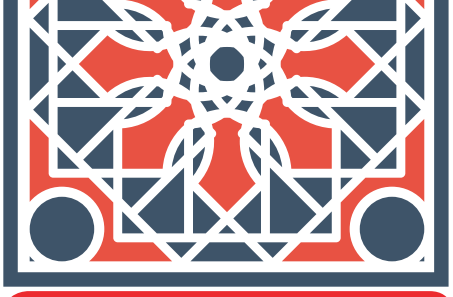

آية العدد

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

(سورة الأنفال)

ملفات خاصة عن

اقتصاد إسلامي - دراسات - تربوي

استشارات أسرية

مقالات

لنكن أكثر استعداداً للكوارث

سعد مرزوق العتيبي 10

الصدق.. المصداقية.. الشفافية

د. يوسف السند 65

العالم ينتظر البديل

د. عماد الدين خليل 66

ادخل على موقع «المجتمع»

رأي المجتمع

ذكرى الاستقلال والتحرير.. والحاجة لمصالحة وطنية

احتفلت الكويت يومي الخامس والعشرين والسادس والعشرين من الشهر الماضي بالذكرى السابعة والخمسين لـ«اليوم الوطني»، والذكرى السابعة والعشرين لـ«يوم التحرير».

وقد استقلت الكويت في ١٩ يونيو ١٩٦١م في عهد الشيخ عبدالله السالم الصباح، فكان أول احتفال بعيد الاستقلال أقيم في ١٩ يونيو ١٩٦٢م، وهي المرة الوحيدة التي أقيم فيها احتفال بالاستقلال بهذا التاريخ، وفي عام ١٩٦٣م جرى ترحيل عيد الاستقلال ودمج في تاريخ عيد جلوس الأمير عبدالله السالم الصباح الذي يوافق ٢٥ فبراير.

أما يوم السادس والعشرين من فبراير فهو «يوم التحرير» للكويت وأهلها من الغزو العراقي الغاشم، بقيادة المجرم «صدام حسين» الذي اجتاح الكويت يوم الخميس الموافق ٢ أغسطس ١٩٩٠م، في مغامرة غادرة لن ينساها التاريخ.

ويأتي الاحتفال بهذين اليومين العزيزين، وقد واكبهما بداية انفراجة في الساحة السياسية والاجتماعية، بإخلاء سبيل النواب والشباب في قضية «دخول مجلس الأمة»، ووقف تنفيذ الحكم بحبسهم حتى تفصل في القضية محكمة التمييز، وهو القرار الذي أدخل السرور داخل بيوت غالبية الكويتيين.

إن الاحتفالات بذكرى «اليوم الوطني» و«يوم التحرير» هي فرصة مواتية لمراجعة الوضع بكامله؛ بُغية الإصلاح، وإزالة كل العوائق أمام عودة الكويت كما كانت عليه دائماً واحة للديمقراطية، ومثالاً يُحتذى به في التماسك الاجتماعي والشعبي.

ولا شك أن الحكومة مطالَبة، في هذا الصدد، بإدارة حوار موسَّع مع كل القوى الموجودة في الساحة الكويتية؛ سواء كان ذلك عن طريق عقد مؤتمر وطني للمصالحة أو حوارات ثنائية، أو بأي شكل من الأشكال، للخروج برؤية واضحة وشفافة لإنهاء حالة الاحتقان الموجودة في المجتمع، وعودة اللحمة للشعب الكويتي.

كما أن القوى السياسية مطالَبة بتحسين وسائلها وأدواتها، وأن يكون خطابُها السياسي خطاباً توافقياً، يُعلي مصلحة الوطن والشعب الكويتي فوق كل اعتبار، ويسعى لاحتواء جميع الأطراف بما فيها الحكومة.

إن حالة الافتراق والاحتقان لا ينبغي أن تستمر طويلاً، وإن كل العقلاء مطالَبون بالتوقف ملياً أمام تلك الحالة، وما يمكن أن تسفر عنه من آثار خطيرة، وعليهم التحرك عاجلاً لإنهاء تلك الحالة من التوتر -كواجب وطني- وتقديم ما يلزم من تضحيات سياسية في سبيل التوافق والوفاق؛ إعلاءً لمصالح الوطن، وتحقيقاً لوحدة الشعب الكويتي، وسعياً للوئام والتماسك الاجتماعي؛ حتى يتفرغ الوطن بكل قواه وأبنائه -حكومةً وشعباً- للانطلاق نحو التنمية والتقدم والازدهار بقيادة سمو أمير البلاد حفظه الله.■

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

قطر :
مكتبة الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت: 725111 / ف: 723763
المغرب :
الشركة العربية الإفريقية للنشر والتوزيع: الدار البيضاء
ص.ب 13008 ـ الدار البيضاء الرئيسة
ت: 0021222249200 فاكس: 0021222249214
U.K : UNIVERSAL PRESS DISTRIBUTION
LTD. - 11 Power Road, London W4 5PY
Tel: 0181- 742 3344 Fax: 0181- 742 1280
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
.Tel: (90 -1) 5120190 - Fax. (90- 1) 5140883

مكرمات سمو الأمير.. نهر من العطاء

سامح أبوالحسن

نهر من المكرمات الأميرية لم يتوقف عند حد المساجين، بل تعداهم إلى اليتامى الذين نالهم من المحبة والسعادة قسط من الفرح سيدخل البهجة إلى نفوسهم ونفوس ذويهم، وقد أكد نواب ومسؤولون في جمعيات خيرية وسياسيون أن هذه المبادرات تضاف إلى سجل عطاء سموه الإنساني في الداخل والخارج، لا سيما وهو قائد العمل الإنساني، وجاء تكريمه من الأمم المتحدة لمساهمته الفاعلة في المساعدات الإنسانية التي تقدمها الكويت لجميع دول العالم.

وقال النائب أسامة الشاهين: إن الأعياد الوطنية هذا العام ازدانت بمكرمات أميرية سامية، تمثلت في سداد مديونيات المحبوسين على نفقة سموه، وكذلك مكرمة سموه المجزية للأيتام، متوجهاً لصاحب السمو بخالص الشكر والتقدير على هذه المكرمات.

وأوضح أن الشعب الكويتي زادت فرحته واكتملت بالإفراج عن ٦١ مواطناً خرجوا من ضيق الحبس إلى سعة الحرية ورحابتها، مهنئاً المفرج عنهم وأسرهم والشعب الكويتي بهذا الفرج.

وقال نائب رئيس مجلس الأمة عيسى الكندري: إن صاحب السمو الأمير يواصل فعل الخير والمعروف، ويشمل هذه المرة اليتامى بمكرمة مالية من جيبه الخاص بمناسبة الاحتفالات بالأعياد الوطنية لإدخال السرور في قلوبهم وقلوب أهل الكويت، جعل الله عمل الإحسان هذا في ميزان حسناته يوم القيامة، امتثالاً لقول الله عز وجل: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾) (الضحى)، وقول نبيه صلى الله عليه وسلم: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وأشار بأصبعيه الوسطى والسبابة».

ومن جانبه، أشاد المدير العام لشؤون القصّر براك الشيتان بالمكرمة الأميرية التي قدمها صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد للأيتام على نفقته الخاصة، التي جاءت متزامنة مع الأعياد الوطنية، وأدخلت السرور والبهجة في قلوب الأيتام، فشكراً وتقديراً لسمو أمير الإنسانية، وهذه المكرمة تعبر عن صورة حقيقية لحنان القائد وحرصه على إسعاد الأيتام وسد حاجاتهم.

وأضاف الشيتان: هذه المبادرة تضاف لرصيد سموه الحافل بالعطاء والإنسانية، وقال: إننا تلقينا الخبر المفرح الخاص بالمكرمة الأميرية للأيتام من الديوان الأميري، وسنقوم بعد إجازة الأعياد بتشكيل لجنة لإعداد ضوابط خاصة بالمكرمة الأميرية، مؤكداً أنه بمجرد تسلم المبادرة ستعلن المكرمة وتوزع وفق الضوابط المعمول بها.

من جهته، أشاد رئيس مجلس إدارة نماء للزكاة والتنمية المجتمعية حسن الهنيدي بالمبادرة السامية لصاحب السمو بتسديد ديون الغارمين من المواطنين والمقيمين على نفقة سموه.

وأكد الهنيدي أن مثل هذه المبادرات ليست بغريبة على سموه، فهو قائد العمل الإنساني، والكويت مركز إنساني عالمي، مشيراً إلى أن هذا القرار أدخل الفرح والسرور على أسر السجناء.

وقال الهنيدي: إن مبادرات سمو الأمير تعزز سمعة الكويت، وأنها ستظل مركزاً للإنسانية والرحمة التي لا تميز بين الناس في ظل حكم أمير الإنسانية حيث شمل سموه في مكرمته المقيمين والكويتيين.

وثمن المدير العام في نماء للزكاة والتنمية المجتمعية ناصر عبدالعزيز الزيد المكرمة الأميرية التي أمر بها صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد والخاصة بصرف مكرمة مالية من نفقته الخاصة لصالح أبنائه اليتامى وفق ضوابط معينة.

وأوضح الزيد أن هذه المبادرة تضاف إلى سجل عطاء سموه الإنساني في الداخل والخارج، لا سيما وهو قائد العمل الإنساني، وجاء تكريمه من الأمم المتحدة لمساهمته الفاعلة في المساعدات الإنسانية التي تقدمها الكويت لجميع دول العالم.

وأضاف الزيد أن اليتيم في مجتمعنا هو اختيار من الله سبحانه وتعالى، فكانت العناية الإلهية لليتيم توصية الناس به واعتبار رعاية اليتيم من أهم أعمال الإحسان التي يقوم بها المسلم، وشدد على معاملته بالحسنى وعدم التعدي على حقوقه والمحافظة عليها، مؤكداً أن الإسلام قدم هذه الفئة إلى المجتمع في أروع صورة إنسانية شهدتها المجتمعات الحضارية، فقد حث الله تعالى على رعاية اليتيم؛ لأنه جزء من قوة المجتمع فقد قال تعالى: (وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ) (البقرة: ٢٢٠).

وبين الزيد أن للكويت بصمة خيرية إنسانية واضحة داخلياً وخارجياً جعلتها من أهم الدول المانحة لإغاثة المنكوبين في شتى بقاع الأرض، ولطالما كانت ساعية إلى الحد من المعاناة التي يعيشها الكثير من

- الشاهين: الأعياد الوطنية هذا العام ازدانت بمكرمات أميرية سامية
- الكندري: سمو الأمير يواصل فعل الخير والمعروف
- المطوع: سمو الأمير الذي عودنا على مبادراته الإنسانية التي تلامس حياة الكثيرين

النازحين واللاجئين في الدول المختلفة.

وقال الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف السابق د. عبدالمحسن الخرافي: ليس غريباً على صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد، حفظه الله، إصدار مثل هذه المكرمات التي تسعد الشعب الكويتي، ولعل من جميل المقادير أن تتوافق المكرمة الأميرية مع حكم القضاء المبدئي بوقف النفاذ عن المسجونين في قضية دخول المجلس، وأن تعم الكويت الأفراح الوطنية.

وأضاف الخرافي أن المكرمة الأميرية ليست الأولى ولا الثانية، وإن شاء الله تستمر هذه المكرمات بما يستحقه الشعب الكويتي المتعاون، وبما يمثله من مواطنة صالحة، وتلك المكرمة ملك لمن يستحق.

وتابع الخرافي: أعجبني في آخر الأمر أن المكرمة الأميرية تأتي وفقاً لضوابط معينة، فمن الواضح أن هذا الصرف مقيد لمن يستحقه، ولكي لا تسول للبعض نفسه أن يستغل المكرمات الأميرية استغلالاً سلبياً وخاطئاً، خصوصاً وأن فيها حقوق الناس، ولفت إلى أن قرار صاحب السمو لم يفرج عن هؤلاء المدينين، إنما وفّى التزاماتهم تجاه الآخرين، الأمر الذي يحفظ حقوق الآخرين.

وأكد نائب رئيس اتحاد المنظمات الأهلية في العالم الإسلامي المحامي مبارك المطوع أن هذه المبادرة ليست بغريبة، خاصة أنها من سمو الأمير الذي عودنا على مبادراته الإنسانية التي تلامس حياة الكثيرين لا سيما وأنها جاءت من ماله الخاص.

وقال: إننا جميعاً مدعوون إلى مثل هذه المبادرات، وبخاصة إذا جاءت من رأس الدولة ودون إخلال بالمال العام وبالدستور، وقد علمنا بوجود ضوابط تراعي حكم العدالة والأحكام القضائية، ومن المؤكد أن المبادرة جاءت في وقتها ومن منبعها كما عودنا صاحب السمو أنه القدوة والأسوة في عمل الخير وسموه أمير الإنسانية في العالم، فالإنسانية تنبع من الكويت، وها قد جاءت متزامنة مع أفراح البلاد بالإفراج عن المحبوسين على ذمة قضايا مالية، ونسأل الله سبحانه أن يشملنا برحمته، ولا شك أنه سبحانه سيجزي المحسن إحساناً.

كما أكد رئيس جمعية التكافل د. مساعد مندني أن مكرمة صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد للإفراج عن المساجين المحبوسين على ذمم قضايا مالية هي «فرجة عظيمة تضاف إلى فرجة تخفيف الأحكام التي يطلقها صاحب السمو الأمير في كل عام بمناسبة الأعياد الوطنية للبلاد».

وقال مندني: إن جمعية التكافل أعلنت منذ أسبوع عن حملتها بمناسبة الأعياد الوطنية لمساعدة السجناء أصحاب القضايا المالية ممن شملهم العفو الأميري وقلص مدد حكمهم، بحيث تدفع الجمعية جزءاً من المبالغ ويكمل المدان البقية، مؤكداً أن الجمعية تهدف إلى إطلاق سراح ٢٠٠ سجين وسجينة بمناسبة احتفالات وطننا الغالي الكويت.

من جهته، قال رئيس قطاع أفريقيا في الرحمة العالمية سعد مرزوق العتيبي: إن هذه المكرمة ليست غريبة على صاحب السمو الأمير، فهي تأتي من والد لأولاده، ومثل هذه الهدايا والمنح التي يقدمها صاحب السمو تؤكد الدور الإنساني وريادته على مستوى العالم التي تنطلق من الكويت وتصل إلى كل من له الحاجة، وتؤكد أن الشعب الكويتي قيادة وشعباً جُبل على العطاء وإسعاد الآخرين، فنحن نفرح في مثل هذه الأيام الطيبة وهذا الشهر (فبراير) الذي تجتمع فيه مناسبتان؛ هما العيد الوطني، وعيد التحرير.

وبين العتيبي أننا نعبر عن هذه المناسبات بالعطاء، فيتميز الكويتيون بأنهم يفرحون ويقدمون لغيرهم المساعدات ليدخلوا عليهم البهجة والسرور، وقدوتهم في هذا هو أميرهم صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد قائد العمل الإنساني، وسموه قدوة في الخير.

وأكد العتيبي أن مثل هذه المبادرات وغيرها من المبادرات الداخلية والخارجية كان لها الأثر في منح صاحب السمو لقب قائد العمل الإنساني، وأن تصبح الكويت مركزاً إنسانياً عالمياً.■

Herbs

معارض الشايع للعطور
منذ SINCE 1928
الكويت - السعودية - الإمارات - قطر
KUWAIT - SAUDI ARABIA - U.A.E. - QATAR
E-mail: afkar@afkar.com.kw - Website : www.alshayaperfumes.com
@alshayaperfumes

جمعية الإصلاح.. والعمل الخيري في شهر

كتب: سامح أبوالحسن

أعلنت جمعية الإصلاح الاجتماعي عن العديد من الإنجازات على الصعيد الإداري والإنساني والخيري خلال فبراير الماضي، منها ما هو خارجي عبر الرحمة العالمية، وداخلي عبر نماء للزكاة والتنمية المجتمعية.. في هذا التقرير، نسلط الضوء على أبرز الأنشطة التي قامت بها الجمعية بجناحيها الخارجي والداخلي.

العتيبي: إنجازات جيبوتي.. واحترافية الإدارة:

كشف رئيس قطاع أفريقيا في الرحمة العالمية بجمعية الإصلاح الاجتماعي سعد مرزوق العتيبي أن العمل الخيري ليس عملاً ارتجالياً، بل هو عمل احترافي من خلال الإدارة الناجحة للمشروعات الخيرية والإنسانية، وهو ما تقوم به الرحمة العالمية من خلال إدارة مشروعاتها المختلفة، مشيراً إلى أن من ينظر إلى إدارة مجمع الرحمة العالمية في جيبوتي يتأكد من ذلك، فقد استطاعت الرحمة العالمية توفير كافة ما يحتاجه المجمع.

وأوضح العتيبي أن الرحمة العالمية استطاعت من خلال احترافية الإدارة توفير محطة للأكسجين ليخدم مستشفى الرحمة بتكلفة أقل من تكلفة أنابيب الأكسجين التي كانت تشتريها سنوياً، بالإضافة إلى إنشاء مشروع خط المياه الحكومي الإضافي الذي يساهم في توفير المياه بصورة آمنة، مع تجنب الآثار السيئة لانقطاع المياه بالمستشفى، بالإضافة إلى إدخال مشروع الصرف الصحي ومشروع توصيل الكهرباء وتركيب مولد مستشفى جراحات المخ والأعصاب، ومشروع تطوير المخبز الخيري، بالإضافة إلى جملة مشروعات أخرى تؤكد عمق الفكر الإداري للرحمة العالمية.

نادي «المغامرون» يسقون شجرة الخير:

فيما جسدت رحلة نادي «المغامرون» المكونة من مجموعة من الشباب، التي أقيمت تحت إشراف الرحمة العالمية، عطاء الشعب الكويتي للأسر الفقيرة في جيبوتي بتوزيعهم سلات غذائية، وافتتاح بئر، وتجديد قسم الولادة في مستشفى الرحمة العالمية بجيبوتي.

وفي هذا الصدد، قال رئيس مكتب السودان في الرحمة العالمية والمشرف على رحلة نادي «المغامرون» الشيخ يوسف الطويل: إن هؤلاء الفتيان حرصوا على ري شجرة الخير التي زرعها الأجداد وتوارثها الآباء، حيث قام ثلاثة من فتيان الكويت بجمع التبرعات من عائلاتهم وأصدقائهم لإغاثة الفقراء في جيبوتي وحفر بئر لأناس هم في أشد الحاجة إلى المياه.

«الرحمة العالمية»: محطة للأكسجين بجيبوتي وإدخال الصرف الصحي وتوصيل الكهرباء

«نماء» تنظم رحلة ترفيهية لـ٧٠ يتيماً وتشارك في مارثون الأيتام بإستاد جابر الدولي

وأوضح الطويل أن الفتيان في نادي «المغامرون» قاموا بزيارة سفير الكويت في جيبوتي فايز مجبل المطيري، وقام الفريق بافتتاح بئر نادي «المغامرون»، وهي عبارة عن بئر بعمق ١٠ أمتار، وملحقة بها ماكينة لسحب الماء من البئر، وخزان لشرب الحيوانات، كما قام بتوزيع ٢٥٠ طرداً غذائياً استفاد منها ١٧٥٠ شخصاً، ويتكون الطرد الواحد من ٢٥ كيلوجراماً من الأرز، و٢٥ كيلوجراماً من الدقيق، و٢٥ كيلوجراماً من السكر، و٦ لترات من الزيت، وكيلوجرام من التمر.

إغاثة ٥٠٠ أسرة سورية بالأردن:

وسيرت الرحمة العالمية قافلتين من المساعدات الإغاثية إلى اللاجئين السوريين في الأردن، حيث استفادت ٥٠٠ أسرة سورية.

وفي هذا الصدد، قال رئيس مكتب سورية وليد السويلم: إن الأولى اشتملت على توزيع مساعدات نقدية وطرود غذائية وبطانيات وماكينات خياطة، فيما اشتملت الثانية على طرود غذائية وبطانيات وكفالة حلقات القرآن الكريم للطلبة السوريين وتوزيع مساعدات نقدية.

الملتقى التربوي بتايلاند:

فيما أقامت الرحمة العالمية بمقر مركز هداية التابع لها في مدينة هاديـاي جنوب تايلاند الملتقى التربوي الدوري للطلبة الجامعيين المكفولين، شارك فيه أكثر من ٦٠ طالباً وطالبة بمختلف التخصصات العلمية والشـرعيـة، بـالإضـافـة إلـى مشـاركـة بعـض أوليـاء الأمـور وبعض الدعاة.

من جانبه، قال رئيس مكتب تايلاند عبدالله عبيد العجمي: إن الهدف من الملتقى التذكير المستمر بقيم الإيمـان، وصلة العبد بربه، واستحضار معاني الإخـلاص، والتنبيه إلى وسائل تزكية النـفـس، والتـأكـيـد على شمولية الإسـلام، والجمع بين الحرص على العبادات والأخلاق والـدعـوة إلـى الله تعالى، وفعل الخير لعموم المجتمع.

«نماء».. والترفيه عن الأيتام:

أما الأنشطة الداخلية التي تقوم عليها نماء للزكاة والتنمية المجتمعية؛ فقد نظمت خلال فبراير الماضي رحلة ترفيهية شـارك فيـهـا ٧٠ يـتـيـمـاً من مكفوليها إلى «طفل المستقبل»، واشـتـمـلـت عـلـى عـدة أنشطة ترفيهية متنوعة.

كـمـا شـاركـت فـي مـارثـون الأيتام بإستاد جابر الدولي، الذي أقيم تحت رعاية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالتعاون مع جمعية صندوق إعانة المرضى؛ وذلـك بـهـدف إدخـال الـسـرور والفرحة على الأيتـام، وهـو ما علق عليه مـديـر إدارة شـؤون وخدمات المستفيدين فهد زيد المطيري قائلاً: إن الماراثون صاحبه تنظيم فقرات ترفيهية متعددة للأيتام، وشارك فيه ٥٥ يتيماً تم تسجيلهم عبر «الأون لاين»، وتم توفير ألعاب، ووجبات خفيفة وعصائر، وهدايا لجميع المشاركين، مبيناً أن مسافة المـارثون كانت ٢,٥ كيلومتر، وأكـد أن «نـمـاء» حـرصـت على توفير مجموعة مـن الباصات في محافظة الجهراء والعاصمة والفروانية لكي تقل الأيتام إلى الإسـتـاد، إيـمـانـاً منها بأهمية رياضـة المشي وحرصها على نشاط أبنائها من الأيتام.

٨٥ موظفاً في «ملتقى الأحباب»:

فيما أقامت «نماء» «ملتقى الأحباب» الثاني، وذلك في شاليه الجـهـراء بمنطقة الخويسات، تـحـت شـعـار «جـدد حـيـاتـك»، حضره أكثر من ٨٥ موظفاً في نماء للزكاة والتنمية المجتمعية، يتقدمهم رئيس مجلس الإدارة حسن الهنيدي، والمدير العام ناصر عبدالعزيز الزيد، ومديرو الإدارات، وشملت الفعاليات فقرات متعددة؛ منها مسابقات ثقافية وتربوية وألعاب رياضية.

وقـد رحـب رئـيـس مجلس الإدارة حسن الهنيدي بالحضور، ودعـا إلى ضـرورة تجديد النية للعاملين في المؤسسة والالتزام بقوانين ولـوائـح وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، مؤكداً في الـوقـت ذاتـه ضـرورة أن يعمل الموظفون على تطوير مهاراتهم الإدارية وقدراتهم وعدم الركون إلى الجمود.

فيـمـا أعـلـن الـهـنـيـدي عن إنجازات «نماء» التي ما كان لها أن تتحقق إلا بثقة المتبرعين ومساهماتهم في المشروعات المختلفة التي يتم تنفيذها داخل الكويت فقط، حيث تمت كفالة أكثر من ١١٠٩ أيـتـام، ورعاية ٦٢٥٤ أسرة متعففة، وعلاج ٢٥ مريضاً بالسرطان، و٣٧ مريضاً من مرضى التصلب العصبي، وكفـالـة ٢٥ شـخـصـاً مـن ذوي الاحتياجات الخاصة.

وعن المشروعات التعليمية، قـال الهنيدي: تم توفير فرص دراسية لعدد ٣٢٤ طالباً، وفي المشاريع الموسمية تم توزيع ٢٨٠ ألـف وجبة إفطار صائم، وتوزيع ٩٤٠٠ سلة رمضانية على ٦٣٠٠ أسرة متعففة، واستفادت مـن زكـاة الفطر النقدية عدد ٤٢٤ أسرة، كما استفادت ٢٣٥٧ أسـرة متعففة من مشروع زكاة الفطر العينية بإجمالي ١٣٠ طناً من الأرز، وتم توزيع عدد ٢١٣٠ أضحية استفادت منها ٦٣٩٠ أسـرة متعففة، كما استفادت ٣٥٠ أسـرة متعففة من مشروع «امنحهم شتاء دافئاً».

وبـيـن الـهـنـيـدي أن المستفيدين من مشروع إطعام الطعام بلغ ١٤٥٥ أسرة متعففة، وتـم توزيع ١٦٥٦٣ وجبة طعام عـلـى الـمـحـتـاجـيـن، وتـوزيـع ٣٨١١٢٠ عبوة مياه في مشروع «سقيا الماء المتنقل»، وتركيب ٥٠٠ براد ماء سبيل في مختلف مناطق الكويت.■

الرحمة العالمية ونماء تهنئان بـ«اليوم الوطني» و«يوم التحرير»

تقدم الأمين المساعد لشؤون القطاعات في الرحمة العالمية بجمعية الإصلاح الاجتماعي فهد محمد الشامري بأصدق التهاني والتبريكات لصاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد، حفظه الله ورعاه، وسمو ولي عهده الأمين الشيخ نواف الأحمد، حفظه الله، والشعب الكويتي الكريم، بمناسبة أيام الكويت الوطنية.

وأعرب الشامري عن اعتزازه بالقيادة الحكيمة لصاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، قائد العمل الإنساني، الذي أطلق العديد من المبادرات الإنسانية الداخلية والخارجية، التي تهدف إلى لمّ شمل الأسر، ومنها: مبادرة تسديد ديون الغارمين المحبوسين من المواطنين والمقيمين من نفقته الخاصة، بالإضافة إلى تقديم مكرمة مالية للأيتام على نفقة سموه الخاصة، وذلك وفق ضوابط معينة.

وأوضح الشامري أن هذه المبادرات الكريمة التي جاءت تزامناً مع الذكرى الـ٥٧ لليوم الوطني، والـ٢٧ للتحرير، ضربت أروع المثل والقيم السامية، وترجمت مبادئ الإنسانية الحقيقية التي يحث عليها ديننا الإسلامي الحنيف، والتقاليد العربية الأصيلة، وساهمت في تعزيز مكانة الكويت كمركز للعمل الإنساني، وكوطن تتمثل فيه قيم التكافل الاجتماعي والتعاضد الإنساني.

فيما هنأ رئيس مجلس إدارة نماء حسن الهنيدي صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد، حفظه الله ورعاه، وسمو ولي العهد الشيخ نواف الأحمد، حفظه الله، والقيادة السياسية ومجلس الأمة والشعب الكويتي بمناسبة احتفالات دولة الكويت الوطنية.

وأشاد الهنيدي بمبادرات صاحب السمو أمير البلاد الذي أدخل من خلالها الفرح والسرور على نفوس الغارمين والأيتام، مؤكداً أن هذا الأمر ليس غريباً على سموه الذي تم تكريمه من الأمم المتحدة قائداً للعمل الإنساني، وسميت الكويت في عهده مركزاً إنسانياً عالمياً.

وأوضح الهنيدي باعتزاز نماء للزكاة والتنمية المجتمعية بخدمة الإنسان خلال أربعين عاماً من العمل داخل الكويت في العديد من المشروعات المختلفة، منها رعاية الأيتام وسقيا الماء والمشروعات الموسمية ورعاية الأسر المتعففة، مؤكداً في الوقت ذاته أن أموال المتبرعين تصرف وفق رغبتهم.■

مقال

بقلم: سعد مرزوق العتيبي
متخصص في التسويق ومهتم بالعمل الخيري

لنكن أكثر استعداداً للكوارث

تُصيب الكوارث المتصلة بأحوال المناخ البلدان الغنية والفقيرة على حد سواء، وقد تصل نتائج هذه الكوارث إلى إيقاف أي نمو اقتصادي لهذا البلد أو ذاك، وتشل الأسواق التي تستهدفها الدول المنتجة، وهذه الكوارث ليس لنا دخل في اختيار مكانها ووقت وقوعها.

ولكن السؤال المهم: ما موقفنا بعد وقوع الكارثة؟

تتوقف الإجابة عن هذا السؤال إلى حد كبير على المكان الذي نعيش فيه من العالم، فكل ما كانت بلداننا ومجتمعاتنا وأسرنا أشد ضعفاً وأقل استعداداً؛ زادت معاناتنا، وإذا كنا نعيش في مناطق ساحلية أو نادرة المياه أو على سفوح شديدة الانحدار؛ اشتد ما نواجهه من مخاطر، وإذا كان منزلنا مصنوعاً من مواد متينة؛ قل احتمال أن نتعرض لأذى، بمعنى أوضح؛ إن كنا فقراء أو نعيش في بلد فقير؛ زاد احتمال أن نفقد حياتنا أو حياة من نحب في ظل هذه الكوارث.

ومع استمرار تغير المناخ وتعدد الظواهر المناخية المؤثر على تلك التقلبات، تتعرض البلدان النامية والفقيرة لخسائر متزايدة من جراء الفيضانات الحادة ونوبات الجفاف والعواصف، وبحسب تقارير البنك الدولي، فبحلول عام ٢٠٣٠م قد يسقط ٣٢٥ مليون شخص في براثن الفقر، ويصبحون عرضة للكوارث المتصلة بأحوال المناخ في أفريقيا جنوب الصحراء، وقد تواجه مدن ساحلية كبيرة، كثير منها في بلدان متوسطة الدخل سريعة النمو، خسائر سنوية تبلغ مجتمعة تريليون دولار من جراء هذه الكوارث بحلول منتصف القرن الحالي.

أنقل لكم تجربة شخصية عايشتها قبل عدة أعوام، حيث تساقطت أمطار غزيرة ومستمرة في السودان، بدءاً من أوائل أغسطس ٢٠١٣م، مما أدى إلى فيضان مدمر هو الأكبر من نوعه الذي بلغت آثاره لـ١٤ ولاية سودانية على الأقل، بلغت أعداد المتضررين حينها أكثر من ٣٠٠ ألف إنسان، وقد أعلنت العديد من المؤسسات الخيرية والإنسانية حملات إغاثية، وكنت مشاركاً بإحداها مع مؤسسة الرحمة العالمية، ومما رأيته في هذه الرحلة الإغاثية تمركز المنازل المدمرة على مجرى السيول؛ مما زاد من معدل الكارثة التي أدت لهدم ما يتجاوز ٢٥ ألف منزل بشكل كلي أو جزئي.

إن ظاهرة «النينو» المناخية تصيب عدة مناطق على مستوى العالم بزيادة معدلات الأمطار؛ مما يؤدي إلى فيضانات أو زيادة الحرارة التي تؤدي لموجة جفاف كبيرة، كما هي الحال في منطقة القرن الأفريقي، ففي أكتوبر من العام الماضي، أفاد مركز المناخ للصليب الأحمر والهلال الأحمر بأن «هناك احتمالاً كبيراً لنمو ظروف الفيضانات في أفريقيا الاستوائية، وزيادة خطر الجفاف في أجزاء من أفريقيا الجنوبية ومنطقة الساحل»، غير أن مثل هذه التصريحات وما قبلها من تحذيرات متخصصي المناخ لم تجد آذاناً صاغية، أو على الأقل لم تكف لأن تقوم الحكومات أو المنظمات الإنسانية في دول القارة باللازم من جهد لمواجهة تلك الأزمات.

فإذا لم نساعد البلدان والمناطق والمدن الضعيفة والفقيرة على الاستعداد والتكيف مع أخطار الكوارث المتصلة بالمناخ حالياً ومستقبلاً؛ قد نشهد ضياع الكثير من مكاسب العمل الجاد الذي نقوم به، والأمل كبير في مؤسسات العمل الخيري والإنساني في قيادة الدور المطلوب لمواجهة تلك الكوارث بالعمل التنموي وزيادة جرعته لدى تلك المؤسسات، كما أن هناك فرصاً كبيرة لدعم توجهات التنمية المستدامة.

إن بناء المرونة كما تذكر التقارير الدولية في مواجهة أخطار المناخ أمر له أهمية بالغة، سعياً لتحقيق الأهداف الإنمائية التي أعلنت عنها الأمم المتحدة بإنهاء الفقر المدقع وبناء الرخاء المشترك، ويجب أن يكون ذلك من صميم أجندتنا الإنمائية القادمة.■

تربية النشء..
في ظل الواقع الجديد وتطوراته

في عالم يموج بكل ما هو جديد يومياً من الأساليب العصرية والمستحدثات التربوية، ووسط زحام من إستراتيجيات وأهداف أفرزتها النظم الحديثة وطبيعة المرحلة المتغيرة؛ حتى اختلطت أولويات التربية الإسلامية، في ظل غزو التكنولوجيا بأنواعها المختلفة وتأثيراتها الكبيرة للبيوت، وسيطرتها على عقول الأبناء وسلوكياتهم.

وفي ظل ما يخطط أعداء الإسلام لغزو الأمة تربوياً وفكرياً وثقافياً؛ حتى رصدت الأموال الباذخة، والجهود المحترفة، والإمكانات الهائلة التي تقف وراءها دول وأجهزة ضخمة.

كل ذلك يدفعنا إلى استشعار أهمية العلم بأصول وثوابت تربية النشء؛ حتى نستطيع أداء الأمانة التي كلفنا الله تعالى بها؛ حيث استرعانا الله تعالى، يقول النبي ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيّعَ مَنْ يَعُولُ»، وليس هناك ضياع أكثر من الجهل بوسائل التربية وأهدافها وطرقها الحديثة.

ومساهمة من «المجتمع» في تمكين الآباء من هذه الوسائل والأهداف والإستراتيجيات، تقدم هذا الملف الذي تلقي من خلاله الضوء على تربية النشء في ظل الواقع الجديد وتطوراته.■

التربية وحماية الناشئة من الانحراف في ظل العولمة

لا يزال العصر الحديث يشهد حالة الفشاء التي آلت إليها الأمة منذ أكثر من قرنين من الزمن، وهذه الحالة ليست ثابتة، بل تزداد يوماً بعد يوم، وتتطور مخاطرها على الحرث والنسل، والأمر مرشح للمزيد من التدهور والمزيد من الهوان والتردي، والواقع أن الأمة صارت بين فكين أقسى عليها من حجارة الرحى؛ كل منهما يعمل على تحويلها إلى ذرات تذروها الرياح، فقد وقعت بين كيد عدو يكيد لها الليل والنهار، ساعده جهل تتسع آفاقه كماً وكيفاً بين مكوناتها البشرية.

د. محمد أحمد عزب

العولمة حسب «جارودي» نظام يُمكّن الأقوياء من فرض الدكتاتوريات اللاإنسانية التي تسمح بافتراس المستضعفين

تمثل حالة الاستلاب والعجز أمام المستعمر الغالب صورة مهينة لانكسار أمة دامت حضارتها مئات السنين، وبفعل التغلب غلب على الأمة قانون المتغلب الذي يقوله ابن خلدون (٨٠٨هـ): «المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده»[١].

العولمة هي: عملية الوصول بالبشرية إلى نمط واحد، في التغيير والأكل والملبس والعادات والتقاليد[٢]، وقد ظهر هذا المصطلح كتيار فكري بيننا إبان سيطرة عولمة أخرى على مستوى السلع والمنتجات التي تمثل ركائز في حياة الأمم، حيث تسللت العولمة أولاً بمظهر اقتصادي، وهو المدخل الأهم لإفقار الأمم والتحكم في أنظمتها، ثم بدأت تأخذ لوناً ثقافياً وسياسياً وتفرضه على الشعوب فرضاً.

والعولمة عملية مصحوبة برغبة في تغيير تشمل عوائد تحرص الأمم على استبقائها بين أفرادها، وهو ما أكده جارودي بقوله: «العولمة نظام يُمكّن الأقوياء من فرض الدكتاتوريات اللاإنسانية التي تسمح بافتراس المستضعفين بذريعة التبادل الحر وحرية السوق»[٣].

تتسلل العولمة أيضاً إلى أسس التربية والأخلاق والتعليم، فقد لوحظت آثاره في نظم التربية الحديثة التي تشيع في العالم العربي، وأحدث إخلالاً في الجانب الإنساني في شخصية الفرد، ولقد فصلت موجات التأثير بالغالب بين العلوم الطبيعية، والعلوم الإنسانية والدينية، وربما جعلت مهمتها المشاركة في الترويح، وتخفيف التوترات النفسية والاجتماعية التي تفرزها بيئة العمل والاستهلاك، وكانت المحصلة لذلك عودة «الصنمية» إلى وجدان الفرد المعاصر، حيث انغرس في نفسه نوع من الاقتران الإشراطي بقدرة الإنسان على رزق أخيه الإنسان أو حرمانه، وقدرته على منح الحياة أو سلبها، فأدى ذلك كله إلى عودة الرق في شكل يناسب العصر[٤].

ظهر النشء في بيئتنا العربية في ظل الاستيراد الجارف للعولمة، وفي ظل فرض ما يتأبّى على الاستيراد، محملاً بثقافة الاستهلاك أكثر من رغبته في الإنتاج والعطاء، مجافياً نموذج التربية الإسلامية؛ حيث إن الفرد يبذل جهده لينتج وينفع كما في الحديث: عن أبي مسعود، رضي الله عنه، قال: «لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل..»، قال النووي معناه: نحمل على ظهورنا بالأجرة ونتصدق من

تلك الأجرة أو نتصدق بها كلها، ففيه التحريض على الاعتناء بالصدقة، وأنه إذا لم يكن له مال يتوصل إلى تحصيل ما يتصدق به من حمل بالأجرة أو غيره من الأسباب المباحة[٥].

من الملاحظ أن الدول المتقدمة تسعى من خلال العولمة إلى تحقيق الغزو الثقافي والفكري وفرض ثقافاتها وأنماطها الحياتية على ثقافات وأنماط الحياة في الدول النامية، ومنها الدول العربية بقصد إلغاء خصوصيتها الثقافية وجعلها في إطار مفهوم التبعية[٦]، وأكثر من يتلقف هذا ويتأثر به هم الناشئة المستقبلون للحياة الوارثون المجتمع بعد حين.

نلاحظ أن الفارق بين منهجين للتربية: الذي جسدته العولمة، والذي أشاعه منهج التربية الإسلامية يكمن في أن الأخير جعل الأخلاق عادة في سلوك الإنسان يجعل اتجاهه للخير نابعاً من الحب للخير، واجتناب الشر نابعاً من كراهية للشر؛ لأنه شر في السر والعلانية، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ (الرعد)[٧]، فانظر إلى الابتغاء الذي هو في حد ذاته غاية للفعل الناتج عن التربية الصحيحة التي تجعل الرقابة الداخلية هي العنصر الأهم في الرقابة، ثم هي تفعل الخير من أجل الخير ونفع الناس وتخفيف حدة الفقر، وتقليل الحاجة قدر المستطاع.

هذا النموذج تسعى العولمة سعياً حثيثاً لدحره ورفعه، تمهيداً لشيوع أنماطها، وهو ما أكدته الأمم المتحدة حيث أصدرت تقريراً يفيد بأنّ قوى العولمة

للعولمة تأثيرها على أسس التربية والتعليم حيث أحدثت إخلالاً في الجانب الإنساني بشخصية الفرد

في ظل العولمة ظهر النشء في بيئتنا العربية محملاً بثقافة الاستهلاك أكثر من رغبته في الإنتاج

رغم إتاحتها فرصاً نفعت بعض الشعوب وبعض الدول، فإنها أسهمت في الوقت نفسه في كثير من دول العالم في رفع معدلات الفقر والظلم، والقلق على فرص العمل، وإضعاف المؤسسات التي تقدم الدعم الاجتماعي للفقراء، كما أسهمت في تفتت القيم والعادات السائدة منذ زمن بعيد[٨].

تتجلى خطورة العولمة على النشء في كونها تسعى لطمس الهوية العربية والإسلامية لديهم، وإحلال الثقافة الغربية محلها، كما تعمل جاهدة على قطع الصلة بين النشء وتراثه الماضي، من خلال التشكيك في الموروث الديني والتاريخي والثقافي.

خطوات نحو الحل

في سبيل الاحتياط في تربية النشء وتوجيه اهتماماتهم نحو قضايا الأمة وتربيتهم وفق أعراف مستمدة من علوم الوحي المطهر، لا يمكن بحال مقاومة العولمة برفضها أو رفض التعاطي معها، ذاك أنها كالإعصار الذي يأتي على حين غرة، فلا يملك المرء مهما كانت قوته أن يقاومه أو يحول مساره، بل قصاراه في ظل حالة الضعف التي هو عليها أن يتلافى خطورته حتى يمر، وتلافي هذه الخطورة يكمن في تحصين النشء تحصيناً يجعله عصياً على الذوبان، ولا يتم هذا إلا من خلال العملية التعليمية، وجعل التعلم قضية أولية للاهتمامات على مستوى الفرد والمجتمع والدولة، وكلما قصرت جهة قامت الأخرى بتلافي الخلل، فالتعليم هو المحصن الأول ضد ذوبان النشء في ثقافة العولمة وقيمها التي تأتي على الهوية فتحيلها إلى غثاء.

لا بد أيضاً من أن تسهم قوى المجتمع المدني في تحصين النشء من قوى العولمة الطاغية، التي أشاعت أدب الجنس، وثقافة العنف التي أدت إلى تنشئة أجيال تؤمن بالعنف كأسلوب للحياة؛ فلا مناص من تقديم البدائل الصالحة لكل ما تدفع به نحو هذه الثقافة التي تعزز الذوبان.

يأتي في هذا الخصوص الفن كركيزة مهمة لمقاومة العولمة الفنية، كما أنه لا بد من شيوع ثقافة الحرية في كل المجالات، إذ هي ضمانة من ضمانات التفكير السليم الذي لا تنتهبه المغريات، كما يجب أن يتمحور الإعلام نحو قضايا الأمة وتقديم النافع الذي يمكث في الأرض والتجرد لله في الأهداف والوسائل، وهذا التجرد لا بد أن يشمل الأفراد أيضاً للإسهام في عملية التحصين، وانظر إلى هذا النموذج الفردي الذي حفظته كتب التراث في مبادرات الأفراد لتحصين النشء والأخذ بأيديهم نحو الفاعلية من خلال العلم، عن أبي يوسف قال: كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقلٌّ رثّ الحال، فجاء أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة، فانصرفت معه، فقال: يا بني، لا تمدن رجلك مع أبي حنيفة؛ فإن أبا حنيفة خبزه مشوي، وأنت تحتاج إلى المعاش، فقصرت عن كثير من الطلب، آثرت طاعة أبي، فتفقدني أبو حنيفة، وسأل عني، فجعلت أتعاهد مجلسه، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه، قال لي: ما شغلك عنا؟! قلت: الشغل بالمعاش وطاعة والدي، جلست فلما انصرف الناس، دفع إليّ صرة، وقال: استمتع بهذه، فنظرت فإذا فيها مائة درهم، فقال لي: الزم الحلقة وإذا نفذت هذه فأعلمني، فلزمت الحلقة.. حتى استغنيت وتمولت[٩].

فهذا جهد الفرد الإمام الذي يجعل العلم والمال رسالة في آن واحد يبذلهما معاً للفرد حيثما تطلب الأمر، لا أنها سلعة لا تبذل إلا بمقابل.■

الهوامش

(١) تاريخ ابن خلدون (١/ ١٨٤).
(٢) انظر: العولمة الثقافية، د. صالح الرقب، نقلاً عن فخ العولمة، ص ٥٥ – ٥٨.
(٣) العولمة المزعومة: الواقع.. الجذور.. البدائل، تعريب د. محمد السبيطلي، دار الشوكاني للنشر والتوزيع، صنعاء، اليمن، ١٩٩٨م، ص ١٧.
(٤) أهداف التربية الإسلامية، ماجد الكيلاني، ص ١٧٥.
(٥) شرح النووي على مسلم ٣/ ٤٦٢.
(6) https://sites.google.com/site/socioalger1/lm-alajtma/mwady-amte/tathyr-alwlmte-ly-altlym-fy-alwtn-alrby
(٧) بيئات التربية الإسلامية، عباس محجوب، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ص ١١٤.
(٨) مجلة المشاهد السياسي، عدد ١٠٨، ١١ أبريل ١٩٩٨م، ص ٣٦.
(٩) تاريخ بغداد (١٤/ ٢٤٤).

إضاءات على طريق تربية النشء

لا يشك أحد في أننا نعيش في عالم معقد التفاصيل، ولم تصبح الحياة سهلة على سجيتها كما كانت في أزمان مضت، وانعكست هذه التعقيدات على مفردات الحياة جميعاً، فلم يعد الوعظ مجرد كلمات توقظ الإيمان داخل القلوب، ولم تعد الثقافة مجرد كتاب تقرؤه في الأدب والشعر، ولم تعد التربية مجرد أوامر ونواهٍ تُلقى إلى الأولاد فتؤتي أُكُلَها!

حامد العطار
باحث شرعي

أصبح لا بد من الخبرة والدربة لأداء هذه المهام، فغدت للتربية مناهج، ومدارس، ودورات، وغدا لها متخصصون ومتمرسون ينقلون هذه الخبرة عبر عملية تعليمية ليست سهلة، وضاعف من هذه الصعوبات كثرة النوافذ المفتوحة، والروافد المشرعة على مصاريعها، التي تنفذ إلى مدارك أولادنا، تغزوهم وتوجههم، وتبني لهم قوائم من المعارف الثقافية والدينية، وهم على سررهم، بمجرد ضغطة من زر، بل أصبحت تغشاهم هذه النوافذ دون هذه الضغطة منهم!

في ظل هذا الوضع المتشابك والمعقد، تتضاعف مسؤولية الآباء في تربية أولادهم، وتصبح من أعقد الواجبات الملقاة على عواتقهم، غير أن هذا كله ينبغي ألا يؤدي إلى اليأس من صعوبة التوجيه والتربية، فقد خلق الله الإنسان مفطوراً على الإيمان، وكل ما يقدمه البشر في مجال التربية الدينية هو إيقاظ الإيمان في قلوب الناس.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «من المعروف عند السلف والخلف أن جميع الجن والإنس معترفون بالخالق مقرون به، مع أن جمهور الخلق لا يعرفون النظر الذي يذكره هؤلاء، فعلم أن أصل الإقرار بالصانع والاعتراف به مستقر في قلوب جميع الإنس والجن، وأنه من لوازم خلقهم، ضروري فيهم، وإن قدر أنه حصل بسبب، كما أن اغتذاءهم بالطعام والشراب هو من لوازم خلقهم، وذلك ضروري فيهم». (درء تعارض العقل والنقل، ٨/ ٤٨٢).

وفي السطور القادمة، نذكر بعض الفوائد التي نبه إليها علماء التربية في القديم والحديث؛ لعلها تعين الآباء على أداء هذه المهمة:

وجوب تربية النشء وأهميتها:

١- قال الإمام أبو حامد الغزالي: «والصبي أمانة عند والديه، وقلبُه الطاهر جوهرةٌ نفيسة ساذجة، خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما يُنقش عليه، وقابل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عُوّد الخير عَلمه وعُلّمه، ونشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه، وكلُّ معلم له ومؤدّب، وإن عُود الشر، وأُهمل إهمال البهائم، شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيّم عليه، الوالي له، وقد قال الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ

مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾) (التحريم).

٢- تعليمهم القرآن؛ فمن يُلقن القرآن وهو صغير يختلط القرآن بدمه ولحمه؛ ذلك لأنه تلقاه في المدة الأولى من العمر التي يكون العقل فيها في طور النمو والتكامل؛ فالقرآن عندئذٍ يتزامن ثباته في القلب مع نموّ هذا الجسد والعقل معاً؛ فعند ذلك يكون قد اختلط بلحمه ودمه.

يقول ابن خلدون: «تعليم الولدان للقرآن شعار الدّين؛ أخذ به أهل الملّة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم؛ لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات، وسبب ذلك أنّ التعليم في الصغر أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده؛ لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات» (تاريخ ابن خلدون، ١/ ٧٤٠).

إن من أعظم مقاصد نزول القرآن على هذه الأمة التزكية والتربية، قال تعالى: (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾) (البقرة)، ولهذا كان التركيز على الجانب التربوي أكثر من الجانب التعليمي، لا سيما أن القرآن الكريم اشتمل على التوجيه الشامل لهذه الجوانب، ويستطيع المعلم الإشارة إلى هذه الجوانب وتربية الأطفال على أخلاق القرآن، والتأكيد على أهمية الإيمان وغرس الإيمان في قلوب الأطفال من خلال الآيات القرآنية التي أكدت العقيدة الإسلامية، وقضايا الإيمان بالله عز وجل وأركانه كما جاءت مفصلة في السور المكية التي اجتمعت أكثرها في قصار السور، والتي يبدأ الأطفال بحفظها وتعلمها أولاً؛ حتى يكون لدى المتعلمين القناعة الكاملة بأن الإيمان بالله عز وجل هو أساس السعادة في الدارين، فأكثر الناس سعادة المؤمنون، وأكثر الناس شقاوة الخارجون عن الإيمان في الحياة الدنيا، وبهذا سوف يتحقق قول المتعلم وعمله واعتقاده مع مقتضيات الإيمان الصحيح.

٣- الرفق واللين؛ وردت عدة أحاديث نبوية ترشد إلى استعمال الرفق واللين في التعامل، منها: عن أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه تعالى عَنْهَا، قَالَتْ: قال رَسُولُ اللِّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّه يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ» (رواه البخاري، ٦٠٢٤)، وروى مسلم (٢٥٩٢) عَنْ جَرِيرٍ رضي اللِّه تعالى عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ»، وعَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي اللَّه تعالى عنها، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شيء إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شيء إِلاَّ شَانَهُ» (رواه مسلم، ٢٥٩٤)، وعَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي اللَّه تعالى عنها: أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ» (رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٤٤٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ٣٠٣).

ومن طبع الأولاد أنهم يحبون الوالد الرفيق بهم، المعين لهم، الذي يهتم بهم، لكن من غير صراخ وغضب، قدر الطاقة، بل بحكمة وصبر، فالطفل في سن يحتاج فيها إلى الترفيه واللعب، كما أنه في السن المناسبة للتأديب والتدريس، فلهذا يجب إعطاء كلّ شيء حقه باعتدال وتوسط، والأولاد إذا أحبوا الوالد الرفيق كان هذا الحب دافعاً قوياً لهم لطاعة الوالد، وبالعكس فغياب الرفق، وحضور العنف والشدة يسبب النفور؛ وبالتالي التمرد والعصيان، أو سيطرة الخوف الذي يولد في الطفل الكذب والخداع.

٤- التعامل بالرفق لا ينافي استعمال العقوبة عند الحاجة إليها، لكن يجب أن ننتبه إلى أنّ العقوبة في عملية التربية يجب أن تستعمل بحكمة؛ فلا يصح أن نعاقب الولد على كل مخالفة يقوم بها، بل تكون العقوبة، حيث لا ينفع الرفق، ولم يؤدبه النصح والأمر والنهي، كما أن العقوبة يجب أن تكون مفيدة، فمثلاً أنت تعانين من قضاء أولادك لوقت طويل أمام التلفاز، فيمكن أن تحددي لهم برامج لمشاهدتها، تنفعهم ولا تضرهم غالباً، وتخلو من المنكرات قدر الطاقة؛ فإن تجاوزوا الوقت المحدد، فيمكن معاقبتهم بحزم بحرمانهم من التلفاز ليوم كامل، وإن خالفوا مرة أخرى فيمكن أن حرمانهم منه لمدة أكثر من ذلك، بحسب ما يحقق الغرض، وينفع في الأدب.

٥- إحاطتهم بالصحبة

للصداقة فعل السحر في التربية فلو استطعت أن تختار لأولادك صحبة صالحة لخففوا عنك الحمل

العقوبة في عملية التربية يجب أن تستعمل بحكمة فلا يصح أن نعاقب الولد على كل مخالفة

للتربية مناهج ومدارس ودورات ولها متخصصون ومتمرسون ينقلونها عبر عملية تعليمية ليست سهلة

الذي يلقن القرآن صغيراً يختلط بدمه ولحمه حيث يتزامن ثباته في القلب مع نمو الجسد والروح معاً

الصالحة؛ للصداقة فعل السحر في التربية، فلو استطعت أن تختار لأولادك صحبة صالحة؛ لخففوا عنك الحمل، فاحرص على ذلك، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» (رواه أحمد والترمذي وأبو داود والبيهقي في «شعب الإيمان»، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقال النووي: إسناده صحيح، وحسنه الألباني).

ويقص علينا القرآن قصص رجال طغوا بسبب صداقة السوء، قال الله تعالى: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً ﴿٢٩﴾) (الفرقان).

٦- الدعاء؛ عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: «إن فتى شاباً أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال النبي: «ادنه»، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: «أتحبه لأمك؟»، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم»، قال: «أفتحبه لابنتك؟»، قال: لا والله، يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم»، قال: «أفتحبه لأختك؟»، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم»، قال: «أفتحبه لعمتك؟»، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم»، قال: «أفتحبه لخالتك؟»، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم»، قال: فوضع يده عليه وقال: «اللّهمّ اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحَصّنْ فرْجَه»، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء» (رواه أحمد).

وفي رواية أخرى: وقال: «اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه، وحَصّنْ فرْجَه»، فلم يكن شيء أبغض منه (أي الزنا).

يظن كثير من الناس أن هذه القصة مثال على التربية بالحجة والإقناع؛ وفي الحقيقة ليس الأمر كذلك، فما قاله النبي صلى الله عليه وسلم للشاب ليس جديداً على معارفه، فالشاب مفتون بالشهوة، ومع هذا هو يكره الفاحشة في أهله، وكراهيته للفاحشة في أهله لم تمنع طغيان الفاحشة في نفسه، لكن التربية هنا كانت بالدعاء؛ حيث دعا له النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللّهمّ اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحَصّنْ فرْجَه»؛ فغدا الزنا بغيضاً مبغضاً إلى قلب الشاب ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له.

التربية بالدعاء مما يغفل عنه كثير من الناس والرسول لجأ إليها مع الشاب الذي استأذنه في الزنا

من الصعب إغلاق نوافذ الثقافات التي تغشى عقول الأولاد لذا يجب تنمية أدوات الحماية والحصانة

والتربية بالدعاء مما يغفل عنه كثير من الناس، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة الوالد، ودعوة المسافر» (رواه أحمد وأبو داود وحسنه الألباني والأرناؤوط).

٧- غرس عناصر التحصين؛ في ظل هذا الواقع المعقد، لن يتمكن الأب من إغلاق نوافذ الثقافات التي تغشى عقل ولده وقلبه، لكنه يمكنه أن ينمي فيه أدوات الحماية والحصانة من الأفكار المنحرفة، وهذا يكون بتعليمه لا بتلقينه، بإقناعه لا بإلزامه، قال الله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾) (السجدة).

يقول ابن القيم في بيان سبب «الصبر واليقين تحديداً»: «ففتنة الشبهات تدفع باليقين، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر، ولذلك جعل سبحانه إمامة الدين منوطة بهذين الأمرين، فقال: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾).

فدل على أنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، وجمع بينهما أيضاً في قوله: (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾) (العصر)، فتواصوا بالحق الذي يدفع الشبهات، وبالصبر الذي يكف عن الشهوات، وجمع بينهما في قوله: (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾) (ص)، فالأيدي: القوى والعزائم في ذات الله، والأبصار: البصائر في أمر الله، وعبارات السلف تدور على ذلك». (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ٢/ ١٦٧).

٨- لا بد من الاستعانة بالكتب النافعة في مجال تربية النشء، فهي تختصر المسافات، وتنبه إلى الأخطاء، وتقدم خبرات يحتاج إليها المربي.

فسوف تتعلم منها مثلاً الفرق بين التربية والتسلط والسيطرة، وسوف تبصرك بمعايب «الحماية الزائدة» التي تصل إلى حد «الحجر على شخصية الطفل»، وكيف تفرق بين المطلوب والمرفوض في هذا الإطار!

وسوف تساعدك هذه الكتب المتخصصة على التمييز بين العقاب والأدب، ومتى يكون كل منهما مطلوباً، ومتى يكون ضاراً، إلى غير ذلك من الثنائيات الحدية التي من الصعب أن يتعرف إليها المربي وحده دون التزود بهذه العلوم.■

كيف تحمي أبناءك من أخطار الألعاب الإلكترونية؟

ياسر محمود

دخلت الألعاب الإلكترونية بأشكالها المتنوعة معظم البيوت العربية، وازداد عدد مستخدميها من الأطفال بسرعة مذهلة، حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتهم اليومية، واستحوذت على حيز كبير من تفكيرهم واهتمامهم، وأصبحوا يقضون وقتاً طويلاً مستغرقين في ممارستها، ويقف كثير من الآباء حائرين بين السماح لأطفالهم بممارسة هذه الألعاب بما تحققه من متعة، ومنعهم خوفاً مما قد تسببه من أضرار لهم.

في تلك السطور نحاول إزالة هذه الحيرة لدى الآباء من خلال رسم صورة واضحة لأهم أضرار الألعاب الإلكترونية وفوائدها، ووضع خطوات عملية لتعامل الأطفال معها بطريقة متوازنة تحقق الاستفادة لهم وتجنبهم سلبياتها.

سلبيات وأضرار:

إذا أسرف الطفل في ممارسة هذه الألعاب وغلب عليه الإساءة في استخدامها، فإن لذلك العديد من الآثار السلبية عليه، ومنها:

١- تقلل بعض الألعاب الإلكترونية حساسية الطفل نحو مظاهر العنف والقتل؛ مما يجعله يتمتع بلامبالاة وعدم اكتراث بما يصيب الآخرين من إيذاء، بل وتنمي اتجاه العنف في نفسه، وتزيد رغبته في ممارسة أعمال العنف والقتل، حتى نقلت لنا الأخبار أن طفلاً بريطانياً قتل زميله بالفأس

والسكين متأثراً بالألعاب الإلكترونية العنيفة كما أشار إلى ذلك والده.

٢- تدفعه للسهر لأوقات متأخرة من الليل مشغولاً بها وممارساً لها؛ مما يؤثر على صحته، وعلى قدرته على الاستيقاظ مبكراً للذهاب للمدرسة، وعلى مستوى تركيزه وانتباهه داخل الفصل الدراسي.

٣- تؤدي إلى إهماله لواجباته المدرسية، وإلى تراجع مستوى تحصيله الدراسي.

٤- تفقده القدرة على التعبير عن عواطفه وعن نفسه كبقية الأطفال، كما تفقده القدرة على قراءة مشاعر الآخرين والاستجابة لها.

٥- ينتج عنها فقدان الرغبة لديه في مجالسة الآخرين والتواصل معهم وتفضيله للعزلة، كما يغلب على سلوكه الكسل والخمول وقلة الحركة.

٦- تصنع طفلاً أنانياً لا يفكر في شيء سوى إشباع حاجته من هذه الألعاب، وربما تتسبب في وقوع الشجار بينه وبين أشقائه وأقرانه حول من له أولوية اللعب.

٧- اكتسابه بعض العادات الغربية السيئة، وتكوين ثقافة مشوهة.

٨- تحتوي بعض الألعاب الإلكترونية على طقوس دينية مخالفة للدين الإسلامي، كما أن تعلق الطفل بها قد يلهيه عن أداء العبادات.

٩- التقليد الأعمى، حيث يقلد الطفل ما يراه ويتأثر به دون وعي ودون تمييز بين الصواب والخطأ.

١٠- تؤدي إلى إصابته بسوء التغذية؛ نتيجة عدم انتظامه في تناول الطعام.

١١- تجعله عرضة للإصابة بآلام الظهر والأصابع، كما قد تؤدي إلى السمنة المفرطة.

١٢- تؤثر على بصره تأثيراً سلبياً.

جوانب إيجابية:

على الرغم مما ذكرناه من سلبيات خطيرة للألعاب الإلكترونية، فإنه من الممكن الاستفادة منها في تحقيق العديد من الفوائد التربوية إذا التزم الطفل بقواعد وضوابط ممارستها، ومن هذه الفوائد:

١- تنمي قدرة الطفل على استخدام التفكير العلمي فيما يواجهه من مشكلات.

٢- تنمي قدرته على التفكير الناقد.

٣- تطور مهارات البحث العلمي لديه.

٤- تؤدي دوراً مهماً في تحفيز تركيزه وانتباهه.

٥- تحسن مهاراته الإدراكية الحسية مثل حركات العين واليد والتآزر بينهما.

٦- تسهم في تطوير قدرته على التعبير الكتابي؛ نتيجة المحادثات والمناقشات والردود والتعليقات التي تتم أثناء ممارسة اللعب.

٧- قد تسهم في تعلمه بعض اللغات الأجنبية أو على الأقل تساعد على ذلك.

٨- تمنحه قدرة أفضل على اتخاذ القرارات.

٩- تكسبه القدرة على القيام بمهمات متعددة في آن واحد.

١٠- تطور مهارات استخدامه لعضلاته الصغيرة.

١١- تساعده على ملء أوقات الفراغ والاطلاع على الأفكار والمعلومات الجديدة، إلى جانب توفيرها قدراً جيداً من اللهو البريء والترويح عن النفس.

دليل عملي:

بهدف تحقيق أقصى استفادة ممكنة للطفل من الألعاب الإلكترونية وإبعاده عن آثارها السلبية نطرح الخطوات العملية التالية.

بعض الآباء يقفون حائرين بين السماح بممارسة الألعاب لمتعتها والمنع خوفاً من أضرارها

بعض الألعاب الإلكترونية تقلل حساسية الطفل نحو العنف والقتل وتصيبه بعدم الاكتراث بما يصيب الآخرين

أولاً: بناء وعي مشترك:

١- من الضروري أن يتعرف الوالدان على أهم الأضرار والجوانب السلبية والإيجابية للألعاب الإلكترونية.

٢- توعية الطفل بالأضرار المختلفة التي قد تنتج عن الإسراف في ممارستها، وذلك بإدارة نقاش معه حول سلبياتها، وإيضاح هذا بطريقة تناسب عمره وقدراته.

٣- إدارة حوار هادئ معه حول قواعد وضوابط الاستخدام المتوازن لهذه الألعاب، حتى يكون التزامه عن اقتناع وليس مجرد التزام بالأوامر.

ثانياً: قواعد وضوابط:

١- لا يسمح للطفل قبل عامين بممارسة الألعاب الإلكترونية، وبعد العامين حتى خمسة أعوام لا يزيد وقت ممارستها على ساعة واحدة في اليوم، وبعد خمسة أعوام حتى ثمانية عشر عاماً لا يزيد على ساعتين في اليوم.

٢- الحرص على اختيار الألعاب المناسبة له، وذلك من خلال التعرف على درجة تقييم اللعبة والفئة العمرية والفترة الزمنية المسموح بها، المدونة على اللعبة أو بالدخول إلى المواقع الإلكترونية المختصة بذلك.

٣- تعويده على أخذ قسط من الراحة لمدة ٢٠ ثانية كل ٢٠ دقيقة، لإرخاء عضلات العيون وإراحة البدن.

٤- تدريبه على وجود مسافة مناسبة بينه وبين شاشة الجهاز المستخدم في اللعب، وتقدر هذه المسافة بـ٥٠ سم.

٥- البعد عن الألعاب التي بها حركة سريعة؛ لأنها تؤثر سلباً على بعض القدرات العقلية خاصة الانتباه والتذكر.

٦- تجنب الإكثار من الألعاب الاهتزازية؛ لأنها قد تؤدي إلى الإصابة المبكرة بأمراض عضلية خطيرة كارتعاش الذراعين.

٧- الابتعاد عن الألعاب التي بها تحديات متعلقة بالطعام أو الشراب أو ترك البيت والهروب منه أو غيرها من التحديات المضرة.

٨- ألا تحتوي الألعاب على أمور منافية للأخلاق والقيم أو تعاليم الدين.

٩- تشجيعه على ممارسة الألعاب التي تنمي التفكير والذكاء وأسلوب حل المشكلات وكيفية التصرف في المواقف الحرجة.

١٠- لا يسمح له بممارستها إلا بعد الانتهاء من الواجبات المدرسية ومذاكرة دروسه.

١١- لا يسمح له بممارستها في فترات تناول وجبات الطعام اليومية.

١٢- التنبيه عليه بعدم إعطاء أي معلومات شخصية مثل الاسم أو العنوان أو الممتلكات.. إلخ؛ حتى لا يقع فريسة لابتزاز أحد.

ثالثاً: متابعة فعالة:

١- من الضروري أن تكون هناك متابعة مستمرة من الوالدين لما يمارسه الطفل من ألعاب، بطريقة لا تشعره بالحصار الخانق.

٢- مشاركته لبعض الوقت في لعب هذه الألعاب، حتى يتسنى للوالدين فهم طبيعتها، كما أن ذلك يدعم قبوله لتوجيهاتهما بصورة أفضل.

٣- التزام الثبات والحزم في تطبيق الضوابط التي تم الاتفاق عليها، مع الحرص على مكافأته عند الالتزام ومراجعته عند المخالفة.

رابعاً: أنشطة وبدائل:

١- تشجيعه على استخدام الأجهزة الإلكترونية في أمور أخرى، كاستخدامها في أمور متعلقة بالدراسة أو في تجميع معلومات حول ما يفضله من الهوايات أو بالدخول على المسابقات والألغاز.. إلخ.

٢- تيسير مشاركته لأقرانه في لعب بعض الألعاب الجماعية التي تشبع ميوله بعيداً عن الألعاب الإلكترونية.

٣- توفير ألعاب أخرى -غير الإلكترونية- جاذبة له، خاصة الصغير الذي يقضي معظم أوقاته بين جدران البيت.

٤- دفعه لممارسة الألعاب الرياضية التي تناسب قدراته وميوله، كالسباحة وألعاب القوة وكرة القدم وكرة الطائرة وتنس الطاولة والكاراتيه والمصارعة.. إلخ، ممارسة احترافية.

٥- إشراكه في الأنشطة الاجتماعية المختلفة كعيادة المريض وزيارة الأقارب ومساعدة المحتاجين وغير ذلك من الأنشطة الاجتماعية المناسبة له.

٦- حثه على المشاركة في الأنشطة الدينية كحفظ القرآن الكريم وحضور حلقات التعليم المناسبة له في المساجد والمراكز والجمعيات الإسلامية.

٧- إشراكه في القيام ببعض المهام المنزلية، كتنظيم غرفته وشراء بعض احتياجات المنزل والمساهمة في ترتيب مائدة الطعام.. إلخ.■

بعض الألعاب تُفقد الطفل القدرة على التعبير عن عواطفه وقراءة مشاعر الآخرين

تحتوي بعض الألعاب على طقوس دينية مخالفة للدين الإسلامي وقد تلهي عن أداء العبادات

يجب توعية الطفل بالأضرار المختلفة للإسراف في هذه الألعاب بإدارة نقاش معه حول سلبياتها

من فوائد هذه الألعاب تنمية قدرة الطفل على استخدام التفكير العلمي لمواجهة المشكلات

بعض الألعاب تفيد في تطوير قدرة الطفل على التعبير الكتابي وتعلم بعض اللغات الأجنبية

يسمح للطفل بعد العامين بممارستها ساعة فقط يومياً وبعد ٥ أعوام لا يزيد على ساعتين

المستشار التربوي خليل الزيود لـ«المجتمع»:

الأجهزة الإلكترونية.. جفاء الأبناء وغياب الآباء

يجب عدم تعرض الطفل للأجهزة الإلكترونية خلال السنوات الأربع الأولى من عمره نهائياً

وسائل الاتصال الحديثة وتحديداً الأجهزة الذكية باتت الشغل الشاغل والهاجس الذي يلاحق الآباء والمربين، وأدت إلى توسيع الفجوة والصراع بين الآباء والأبناء.

«المجتمع» أجرت حواراً حول مدى خطورة الأجهزة الذكية على الأبناء وتأثيرها على العلاقة الأسرية، مع المستشار الأسري والتربوي الأردني د. خليل الزيود، الذي أكد أن استخدام الأجهزة الذكية نعمة، ولو لم نحسن استخدامها بالشكل الصحيح ستتحول إلى نقمة.

حوار: سيف الدين باكير

● بداية، هل استعمال الأجهزة الذكية خطر على الأبناء؟

– هذه كلمة مفتوحة، فهي تحمل نعم ولا في آن واحد، والتفاصيل تقول: إن الأجهزة الذكية إن كان لها وقت معلوم للاستعمال، وإن كانت المادة المتوافرة فيها صحيّة تربوية؛ فهي نعمة للأبناء وليست خطراً، ولكن إن كانت هذه الأجهزة تستخدم في كل وقت سواء الدراسة وأثناء الاستيقاظ من النوم وقبله، والمادة المتوافرة تكون ذات أبعاد جنسية بشكل مباشر أو غير مباشر، أو تكون الأصوات صاخبة في داخلها؛ فهي بالتأكيد نقمة وخطر كبير.

● ما أسباب الإدمان على هذه الأجهزة؟

– الهروب من الدراسة، طبيعة الألعاب المتوافرة تكون مغرية في مادتها ومضمونها، الهروب إلى الأجهزة الذكية من الواقع المعيش المليء باضطرابات نفسية أو مشكلات أسرية، فالابن يجعل من الأجهزة الذكية متنفساً يلجأ إليه.

● ما علامات إدمان الأبناء على الأجهزة؟

١- البقاء لساعات طويلة برفقة الجهاز.

٢- التوتر الشديد أثناء الحديث معهم بشكل لافت.

٣- الإجهاد أثناء القيام بأي سلوك خارج الجهاز الذكي.

٤- عدم الانتفاع بأي وسائل النصح والإرشاد التقليدية.

● ما ضوابط استعمال هذه الأجهزة من أجل ضمان الاستفادة منها وتجنب المخاطر التي قد تنجم عنها؟

١- ألا يتعرض الطفل لتلك للأجهزة خلال السنوات الأربع من عمره نهائياً.

٢- عمل اتفاق مكتوب لأوقات استخدام الهاتف الذكي.

٣- أن يترتب على الاتفاق المكتوب الالتزام بمكافأة متفق عليها بين الأهل والأولاد.

● ما الوقت المسموح به للعب على الأجهزة خاصة أنها أصبحت واقعاً نتعامل معه؟

– ألا يكون فور الاستيقاظ من النوم ولا قبله بثلاث ساعات؛ وذلك لأن الحواس في الصباح الباكر تكون في أعلى قدرتها على التفاعل مع الوسط التفاعلي التعليمي، فهنا نحتاج لأن يكون الطفل في بيئة

عمل اتفاق مكتوب مع الأبناء لأوقات استخدام الهاتف الذكي

استعمال الأجهزة لا يكون فور الاستيقاظ من النوم ولا قبله بثلاث ساعات

تحفيزية وتفاعلية، وكذلك قبل النوم يكون الدماغ يعمل طوال الليل بآخر ما كان به مشغولاً قبل النوم، ومن المعلوم أن العقل اللاوعي هو المسؤول عن سلوكياتنا، وهنا تجدر الإشارة إلى أن يكون ما قبل النوم القراءة أو الحديث مع الطفل، ويفضل أن تكون الغرفة مظلمة ولا ضوء فيها لكي يستطيع الجسم والدماغ الراحة من أجل الانطلاق ليوم جديد.

● هل هناك علاقة بين الأزمات النفسية التي نراها على الأطفال أو المراهقين والأجهزة الإلكترونية؟

– بالطبع توجد علاقة؛ لأن الجلوس الطويل على هذه الأجهزة يؤدي إلى توتر في الأعصاب عند الأطفال؛ مما يجعل التواصل معهم صعباً جداً، ويؤثر على عملياته النفسية المتعلقة بالاستعداد للمدرسة والقابلية للتعلم من تركيز واستيعاب وتذكر.

● ما الآثار الاجتماعية لهذه الأجهزة على الأبناء؟

– العزلة، وعدم التفاعل الاجتماعي الصحي، وجعلها مهرباً لمواجهة مشكلات الحياة؛ لأنها تحقق انتصارات وهمية، بالإضافة إلى صعوبة التفاعل مع الأقارب أو الأقران بشكل طبيعي، وهذا يؤدي إلى تأخر في الذكاء الاجتماعي؛ مما يؤدي إلى مشكلات بالعمل في المستقبل.

● كيف ننمي جانب المراقبة الذاتية لدى الطفل أثناء استخدامه هذه الأجهزة وما تتيحه من فرص للانحراف؟

– الاتفاق المكتوب المترتب عليه مكافأة في حالة الالتزام، والمعاقبة المتفق عليها في حال مخالفة الطفل للاتفاق، ويفضل أن يكون الاتفاق من خلال التوافق بين الطفل والوالدين، ويتم تجنب الحديث بالاتفاق في العموميات بل ننطلق إلى التفاصيل من حيث نوع اللعب والمدة الزمنية والموعد في الليل أو النهار وخلال الأسبوع في أوله أو آخره.

● هل هناك ارتباط بين مستوى الأداء التعليمي من ناحية التحصيل سواء بالسلب أو الإيجاب والأجهزة الإلكترونية؟

– كلما كان التعلق وخاصة في الصفوف الأربعة الأولى بالأجهزة الإلكترونية أكثر كان التحصيل أقل، وخاصة في المهارات الأكاديمية التي تتطلب مجهوداً وتركيزاً وتفكيراً نوعياً، وهذه المشكلة تتفاقم كلما كانت الألعاب التي يتعرض لها الطفل مبنيّة على الإثارة والصراخ والموسيقى الصاخبة، فهي تبطئ عمل الدماغ بل وتؤثر على مهارات الدراسة الأساسية.

● عزوف الأولاد عن الدراسة، التقصير في أداء الواجبات، عنف الأطفال في المدارس.. هل له علاقة من قريب أو بعيد بالأجهزة الإلكترونية؟

الجلوس الطويل على الأجهزة الإلكترونية يؤدي إلى توتر في الأعصاب

اقتناء هاتف ذكي لا يكون قبل العاشرة من العمر

الألعاب الإلكترونية تجعل الطفل في تناقض بين قدراته الإبداعية وواقعه الذي لا يستطيع أن يتعامل معه

– بالطبع هذه السلوكيات لها علاقة وثيقة بتلك الأجهزة؛ وذلك لأنها تجعلك تحل المشكلات التي تواجهها افتراضياً، فالطفل يصبح في تناقض بين قدراته الإبداعية في الألعاب الإلكترونية وواقعه الذي لا يستطيع أن يتعامل معه بتلك السهولة، فتصبح لديه ردود أفعال عكسية في التفاعل والتعامل مع الواقع.

● في الآونة الأخيرة انتشرت لعبة إلكترونية اسمها «الحوت الأزرق» التي على إثرها أقدم عدد من الأطفال على الانتحار.. ما الذي يدفع الطفل للانتحار بسبب لعبة إلكترونية؟

– الفراغ كفيل أن يفعل أكثر من ذلك، وخاصة في عمر المراهقة؛ لأن التشبع والتعلق باللعبة يجعله يقدم أي شيء من أجل البقاء في الصدارة والتفوق، وخاصة مع غياب الهادي الذي يأخذ بأيدي الأبناء نحو الأفضل، وهذه اللعبة لا تسيطر في ذاتها على الأبناء بل على اكتساح الفراغ لديهم، فالطلب أن يرسم الحوت على يده، أو أن يجلس لوقت طويل بلا كلام، هذه تفرز لدى الطفل مقدرته على التحدي أو عدم القدرة، وهو هنا يحقق ذاته وإن كان وهماً، فهو بالنسبة له إنجاز.

● هل البدانة المنتشرة بين أطفالنا لها صلة بتلك الأجهزة؟

– الجلوس لساعات طويلة بلا حركة لجسم ينمو بشكل سريع، بل والأطعمة غير الصحية المرافقة للجلوس لوقت طويل تجعل البدانة سريعة الزحف إلى أجسامهم.

● هل من الممكن أن نستثمر تعلق الأطفال بتلك الأجهزة بإدخالها في العملية التعليمية ورفع مستواهم؟

– هذا ممكن، ولكن الحاجة إلى متخصصين يعملون على وضع المواد التعليمية بشكل محفز وشيّق للأطفال.

● متى نسمح للأبناء باقتناء هاتف ذكي؟

– لا يوجد عمر محدد؛ لأن الأمر يختلف من طفل لآخر، ومدى قدرتهم على الثقة بأبنائهم وسلوكياتهم، ومن وجهة نظري لا يكون قبل العاشرة من عمرهم.

● ما البديل عن تلك الأجهزة؟

– لا يوجد بديل كامل، ولكن يجب أن يتخلل يوم الطفل الحديث مع الآباء والنقاش والمزاح والضحك واللعب.

● ما الأنشطة المفيدة التي يمكن للأطفال القيام بها بدل جلوسهم على تلك الأجهزة؟

– كرة القدم، الشطرنج، السباحة، أي نشاط فيه حركة وخروج عن مألوف اليوم العادي.

● نصيحة أو كلمة أخيرة توجهها للآباء؟

التربية ليست تسميناً وليست مدرسة فارهة الفخامة، بل هي حضن ونقاش وحوار وإصغاء نشط لأبنائنا.■

حقوق الطفل..

بين الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية

يمكن التأريخ لبداية الاهتمام الدولي بالمسألة الحقوقية إلى الربع الأخير من القرن الماضي، فمنذ عام ١٩٧٥م الذي أطلق عليه «العام الدولي للمرأة»، شرعت الأمم المتحدة، بوصفها التعبير المؤسسي عن النظام الدولي، في عقد عدد من المؤتمرات المعنية بكل من المرأة والطفل وذوي الاحتياجات الخاصة، أسفرت عن إصدار سلسلة من المواثيق والمعاهدات الدولية تخص هذه الفئات.

د. فاطمة حافظ
دكتوراه في التاريخ الحديث

لدى الحضارات الشرقية والرسالات السماوية نظم أخلاقية متكاملة تحدد حقوق وواجبات كل إنسان بدقة

الخطاب القرآني لا يتناول حقوق الطفل وقضاياه بمعزل عن شبكة علاقاته وموقعه ضمن البنية الأسرية

لعل هذا التوقيت يفسر لنا دواعي الاهتمام العالمي بالحقوق، ففي ذلك الحين كانت الحرب الباردة الأيديولوجية التي دارت رحاها بين بلدان أوروبية اعتنقت النموذج الماركسي، وبلدان أخرى تبنت النموذج الرأسمالي على وشك الانتهاء، معلنة انتصار الفريق الأخير الذي يتخذ من الحقوق والحريات والديمقراطية أدوات لتنفيذ سياساته، ويأتي الاهتمام الحقوقي تعبيراً عن محاولة إعادة صياغة المجتمعات في بلدان العالم وفق النموذج الرأسمالي الذي يتم تصديره بوصفه نموذجاً أمثل يتوجب محاكاته والاحتذاء به، وبذلك تكون الرأسمالية قد أحرزت نجاحاً مزدوجاً على الصعيدين السياسي والاجتماعي في آن واحد.

وعلى ضوء هذه الخلفية، يمكن فهم السياقات التي أُنتجت خلالها هذه الوثائق الحقوقية، وتفسير دواعي تأثرها بالثقافة الرأسمالية، وفهم علاقتها بالواقع، فهي لم تكن قط مطلباً دولياً ملحاً، كما لم تفض إلى تحسن الوضع الحقوقي؛ إذ رغم توقيع معظم بلدان العالم على اتفاقية حقوق الطفل عام ١٩٨٩م لم تزل أوضاع الأطفال تُنتهك في مناطق النزاعات كسورية وأفغانستان، وفي المناطق الأكثر فقراً وبخاصة أفريقيا جنوب الصحراء.

والإشكالية الكبرى في هذه الوثائق أنها توهم بأن الحضارات والثقافات العريقة لم تعرف مدونات حقوقية من قبل، وهو ادعاء ينفيه ما نجده لدى الحضارات الشرقية القديمة والرسالات السماوية من نظم أخلاقية متكاملة تحدد حقوق وواجبات كل إنسان بدقة.

وفيما يلي أعرض بإيجاز للرؤية القرآنية للطفل وحقوقه، ثم أقارن بينها وبين الرؤية الغربية كما تكرسها المواثيق الدولية للطفولة.

الطفل في التصور القرآني:

لم يفرد القرآن سورة بعينها للحديث عن الطفل، وإنما أتى ذكره في مواضع عديدة تحدثت عن أطواره وتشريعاته وحقوقه وعلاقاته بوالديه وذوي الأرحام، وضمن هذا السياق يقدم القرآن السيدة مريم، ولقمان الحكيم، كنموذجين للأمومة والأبوة، وبصفة عامة يتسم خطاب القرآن المتعلق بالطفل بخصيصتين أساسيتين:

الأولى: العمومية؛ يوصف الخطاب القرآني عامة بأنه خطاب عموم لا خطاب خصوص، فهو يعلو فوق التفاصيل والجزئيات وينحو نحو الكليات، مستهدفاً إيجاد نماذج مجردة قابلة للتعميم والتطبيق مع اختلاف السياقات الزمانية والمكانية.

والثانية: الكلية والشمول؛ وتعني أن الخطاب القرآني لا يتحدث عن شخوص وآحاد مجتزئة، فلا يتناول حقوق الطفل

وقضاياه بمعزل عن شبكة علاقاته وموقعه ضمن البنية الأسرية، بل إنه يرتب واجبات معينة على ذوي الأرحام (الجد، العم، الأخ الأكبر..) في حالة وفاة الأب، وهو بهذا يخلق منظومة متكاملة من الحقوق والواجبات، فكل حق يقابله واجب بالضرورة، ومن ذلك أنه في مقابل تمتع الطفل بحق الرعاية المادية والمعنوية، فإن عليه الالتزام بالواجبات الأخلاقية التي يرشده إليها ذوو الولاية التأديبية عليه.

وخطاب القرآن يعكس هاتين الخصيصتين بوضوح؛ فهو لا يتحدث عن سن محددة تنتهي عندها الطفولة، وإنما يتحدث عن أطوار رئيسة تتشكل ضمنها؛ وهي تبدأ بما أسماه سبحانه تعالى «خلقاً آخر» وهو الجنين في بطن أمه، ثم الطفل الذي لم يبلغ حد التمييز، ثم الغلام أو الصبي المميز، ويتحدث عن خصائص الطفولة ويجملها في: الضعف وعدم القدرة؛ (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ) (الروم: ٥٤)، ومحدودية العقل؛ (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا) (النحل: ٧٨)، وعدم المسؤولية عن نتائج الأفعال سيما الجنائية إن كان غير مميز.

واستناداً إلى هذه الخصائص، أوجد الله تعالى حقوقاً للطفل وجعلها على شاكلتين:

حقوق مادية؛ وهي جملة حقوقه الأساسية كحقه في الحياة؛ (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ) (الأنعام: ١٥١)، وحقه في إثبات نسب له؛ (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ) (الأحزاب: ٥)، وحقه في الرضاعة والنفقة والكسوة بحسب حالة الوالدين؛ (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (البقرة: ٢٣٣).

وحقوق معنوية، وقد أتى القرآن على طرف من ذكرها وتوسعت فيها السُّنة، ومنها حق الطفل أن يكون موضع عطف الآخرين، وكان صلوات الله عليه شفوقاً بأحفاده الصغار؛ (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ) (آل عمران: ١٥٩)، وحقه في التوجيه والنصح بغير عنف؛ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) (التحريم: ٦)، وحقه في التعليم والتأدب بالآداب الخلقية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ) (النور: ٥٨).

حقوق الطفل في المواثيق الدولية:

وعلى الجهة المقابلة، تحمل المواثيق الدولية تصوراً مغايراً للطفل ولحقوقه، ويمكن أن نعرض بإيجاز لمعالم هذا التصور الدولي من خلال وثيقتين أساسيتين:

- اتفاقية حقوق الطفل، الصادرة عن الأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٨٩م، وقد احتوت على ٥٤ مادة تحدثت عن أهم الحقوق المفروضة للطفل على والديه والمجتمع والدولة والمجتمع الدولي.

- وثيقة عالم جدير بالأطفال، الصادرة عن الأمم المتحدة في مايو ٢٠٠٢م، وتتحدث عن أربعة متطلبات ينبغي تحقيقها للطفل، وهي: توفير الحياة الصحية، توفير التعليم الجيد، الحماية من الإيذاء والاستغلال والعنف، ومكافحة فيروس نقص المناعة المكتسبة (الإيدز).

وعلى الرغم مما تضمنته هذه الوثائق من حقوق أساسية نصت عليها الشريعة؛ كالحق في التعليم والرعاية الصحية، فإن هناك اختلافات مهمة بينهما من قبيل:

- الاختلاف المفاهيمي: ويُقصد به استخدام الوثائق مفاهيم ثابتة ومتداولة ولكن بعد تفريغها من مدلولها وإكسابها مدلولات جديدة، ومن ذلك مفهوم الطفل يعني «كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره» وفقاً لاتفاقية الطفل، وهو تعريف يثير إشكاليات، منها أن الطفل قد يصبح بالغاً ولكنه لم يزل طفلاً في نظر القانون الدولي، ومنها أن بلداناً عديدة تقوم بتجنيد من هم في سن الخامسة عشرة في قواتها المسلحة، فإذا نشبت حرب بين بلدين فإنما تقوم بين جيوش قوامها الأطفال في هذه الحالة ولا يمكن مساءلتهم جنائياً عن جرائم ارتكبوها أثناء الحرب، وليس هذا الاختلاف المفاهيمي الوحيد، إذ بينما تعترف الديانات السماوية بشكل واحد للأسرة هو الأسرة الطبيعية المكونة من رجل وامرأة، فإن المواثيق تنص على أن «الأسرة تتخذ أشكالاً مختلفة باختلاف النظم الثقافية والاجتماعية والسياسية»، الأمر الذي يسمح بقيام أسر مكونة من رجلين أو امرأتين.

- انتهاك البراءة: مع تمديد سن الطفولة إلى هذه السن المتأخرة يغدو ضرورياً للطفل ممارسة الجنس باعتباره حقاً أصيلاً تبيحه المواثيق الدولية، وهو الحق الذي أثبتته اتفاقية الطفل، ثم جعلت منه وثيقة «عالم بلا أطفال» أحد الحقوق الرئيسة الأربعة التي يتوجب منحها للطفل، وعلى هذا ورد لفظ الجنس بمترادفاته المختلفة: كالصحة الإنجابية والصحة الجنسية، والعنف الجنسي، والاستغلال الجنسي، والسياحة الجنسية، ما يقرب من عشرين مرة على مدار الوثيقة، على حين تم غض الطرف عن الموضوعات الأخرى ذات الأهمية؛ كالأخلاق والدين اللذين ورد ذكرهما في أربعة مواضع بصيغة مبهمة داخل الوثيقة.

- التأديب والتهذيب: تفرط الوثائق الدولية في الحديث عن الحقوق المادية للطفل كالتعليم والصحة، لكنها في المقابل تغض الطرف عن حقوق الوالدين على الطفل لاسيما حق التهذيب، وما تجدر ملاحظته أنه بينما تحدثت وثيقة الطفل في بند وحيد عن ضرورة توفير الوالدين «التوجيه والإرشاد» لأطفالهما بما يتفق مع حقوقهم المعترف بها في الاتفاقية، فإن وثيقة «عالم جدير بالأطفال» خلت من أي إشارة إلى مسألة التأديب والتهذيب؛ مما يدل على التدهور الحاصل في الرؤية الأممية المتعلقة بمسائل التهذيب والتقويم والأخلاق عموماً، وهي لا تكتفي بذلك، وإنما تحمل بشدة على ما تسميه «العنف» و«الإساءة» و«الإضرار» بالبنية المادية والمعنوية للطفل.

والخلاصة أننا بإزاء رؤيتين متضادتين للطفل؛ إحداهما يمثلها الإسلام والديانات السماوية، والأخرى تمثلها المواثيق الدولية، فعلى أتباع الأديان توحيد جهودهم والخروج بوثيقة دينية شاملة تجمع خلاصة ما في الأديان وتقديمها في قالب حقوقي عصري.■

القرآن لا يتحدث عن سن محددة تنتهي عندها الطفولة وإنما يتحدث عن أطوار رئيسة تتشكل ضمنها

من الإشكاليات التي تثيرها الاتفاقات الدولية أن الطفل قد يصبح بالغاً ولكنه لم يزل طفلاً ولا يمكن مساءلته جنائياً

تُعَدُّ آداب الطفل وفنونه روافد أساسية في تشكيل شخصية الطفل وبناء تكوينه النفسي والعقلي والفكري والاجتماعي، فكما يحتاج الكبار والناضجون إلى فنون تشبع ذائقتهم وتملأ خيالهم ووجدانهم، فإن الأطفال في حاجة أشد لمثل ذلك؛ في ضوء الطول النسبي لمراحل الطفولة من سني الطفولة المبكرة إلى سن الثامنة عشرة وفق تصنيف علم نفس النمو لها؛ وهو ما يجعل الإنسان من أكثر المخلوقات طولاً في مرحلة طفولتها، قياساً بغيره من الكائنات.

آداب الطفل العربي المعاصر وفنونه

الأبعاد.. القيم.. المحاذير

د. مصطفى جمعة
أكاديمي وناقد وخبير تربوي

تُعرّف فنون الطفل وآدابه بأنها «الآثار الفنية التي تصور أفكاراً وإحساسات وأخيلة، تتفق ومدارك الأطفال، وتتخذ أشكال القصة والشعر والمسرحية والمقالة والأغنية والفيلم والمسلسل وسائل لها[1]، وهو تعريف يتخطى الفهم الدارج الذي يحصر أدب الطفل في الأشكال المكتوبة فقط، ليمتد فيشمل مختلف الفنون القولية والمسموعة والمرئية، مما يجعل فنون الطفل صناعة كبرى، يتضافر في إبداعها كتّاب وفنانون وشعراء وموسيقيون ومسرحيون وممثلون.. إلخ، بل إنه يحفز كل مبدع للمشاركة في هذه الفنون التي احتلت مكانة كبرى، خلال العقود الخمسة الأخيرة.

أيضاً، فإننا لا نتفق مع الرأي القائل بأن فنون الطفل وآدابه إنما هي أشكال مستحدثة تأتي متزامنة مع النهضة المعاصرة في الغرب والشرق[2]، ذلك أن فنون الطفل وألعابه ترتبط بوجود الإنسان نفسه على الأرض، فلكل مجتمع فنونه الموجهة للطفل، التي تختلف حسب ثقافته ومستواه الحضاري.

جذور ممتدة

تمتد جذور أدب الطفل في الثقافة العربية إلى ما قبل الإسلام، ممثلة في أغاني المهد، والقصص والطرائف، ولنا في مواقف الرسول صلى الله عليه

لكل مجتمع فنونه الموجهة للطفل التي تختلف حسب ثقافته ومستواه الحضاري

«الحواديت» كانت تشبع حاجات الطفل النفسية والتخيلية بجانب السيرة النبوية وقصص أبطال العرب

وسلم أمثلة عديدة، في توجيهاته وإرشاداته وألعابه مع الأطفال[٣]، لذا فإننا في أشد الحاجة لتأصيل فنون الطفل وألعابه في تراثنا العربي والشعبي، ودراستها بشكل معمق، لتكوين صورة كاملة عن كيفية إبداع الأجداد لإشباع حاجات أطفالهم بدءاً من حكايات الجدات، مروراً بالأغاني والأشعار والقصص، وانتهاء بالألعاب الفردية والجماعية التي مارسها الأطفال في البادية والساحات الشعبية والحقول، وكلنا يحتفظ في نفسه بذكريات عن زمن جميل، عن الألعاب الشعبية في ليالي الصيف مثل «عسكر وحرامية، والقفز والركض والتسابق..» التي كانت تعزز مهارات التخطيط والتفكير الجماعي، وتدعم قيم التآلف والتعارف بين الأطفال.

ولا يزال مترسخاً في وعينا حكايات الأمهات والجدات في ليالي الشتاء الباردة، وكيف كانت «الحواديت» تشبع حاجات الطفل النفسية والتخيلية، بجانب ما كن يقصصنه من السيرة النبوية وقصص الأنبياء والصحابة، وأبطال العرب التي تجلت في السير الشعبية الكبرى، مثل سيرة عنترة بن شداد، وسيف بن ذي يزن، والأميرة ذات الهمة، والسيرة الهلالية، وسيرة صلاح الدين الأيوبي، والظاهر بيبرس.. إلخ، وكلها تتصل بأبطال العروبة والإسلام.

لقد كان هذا قائماً قبل انتشار التلفاز والقنوات الفضائية، والعيش في الأحياء الحديثة بشققها الضيقة التي تحوي الأسرة النواة الصغيرة (الوالدين والأطفال)، وليست الأسرة الكبيرة (الجدّين، والوالدين، والأعمام، وأطفال العائلة)، صنع كل هذا ذكريات،

وغرس قيماً، وأورث انتماءً وهوية، وأخرج شخصيات سوية، لا تعاني عزلة وانطواء وعُقداً نفسية، دون مخالفات قيمية تعارض ثقافتنا.

النهضة الحديثة وتداعياتها

مع بداية النهضة الأدبية في العصر الحديث، بدأت ترجمات غربية لأدب الطفل في أوروبا، وتبارى عدد من الكتّاب والشعراء في إبداعات الطفل، أبرزهم أمير الشعراء أحمد شوقي من خلال ديوانه «الشوقيات الصغيرة»، والشاعر العراقي الشهير معروف الرصافي، وظهر لاحقاً رائد أدب الطفل كامل كيلاني، ثم المبدع أحمد نجيب، وعبدالتواب يوسف، وهؤلاء كتبوا الكثير من القصص المفيدة، وهناك من برع في قصص المغامرات مثل محمود سالم صاحب سلسلة «المغامرين الخمسة» و«الشياطين الـ ١٣»، ونبيل فاروق صاحب سلسلة «رجل المستحيل»، و«ملف المستقبل»، وتوازى هذا مع تأسيس مجلات الأطفال في العالم العربي مثل «ميكي»، و«سمير»، و«قطر الندى» في مصر، و«براعم الإيمان»، و«العربي الصغير» في الكويت، و«ماجد» و«باسم» في السعودية، ومجلة «أحمد» في لبنان.

ومع انتشار المذياع والتلفاز ظهرت أغاني الأطفال، وكان الموسيقار محمد فوزي من أبرز من أبدع في أغاني الأطفال، ثم ظهرت سينما الأفلام ومسلسلاتهم الكرتونية التي اتسعت أكثر فأكثر مع قنوات الأطفال الفضائية العديدة، التي سدت الكثير من حاجة أطفالنا المرئية والسمعية.

يعد أحمد شوقي ومعروف الرصافي وكامل كيلاني وأحمد نجيب وعبدالتواب يوسف رواد أدب الطفل

أكثر من ١٣ ألف كتاب للطفل نشرت بعام واحد في أمريكا مقابل ١٧.. كتاب في الأقطار العربية مجتمعة!

مجال بكر

لا شك أن المشهد العام لفنون الطفل العربي وآدابه يبشّر بخير كثير، وإن كان لا يزال مجالاً بكراً، يحتاج لدعم مؤسسي كبير، في ضوء الإحصائيات المفزعة عن ضآلة المنتَج من آداب الطفل وفنونه في العالم العربي بالمقارنة مع الدول الغربية والولايات المتحدة، فقد تم نشر أكثر من ثلاثة عشر ألف كتاب للطفل في عام واحد في الولايات المتحدة، في مقابل ألف وسبعمائة كتاب للطفل في كل الأقطار العربية مجتمعة.

وتبين الإحصاءات أيضاً أن الطفل العربي لا يقرأ خارج

المنهاج الدراسي سوى ست دقائق في العام، وهو متوسط ما يقرأه الطفل الأمريكي في يوم واحد، وعلى صعيد الكتاب الوثائقي للطفل، فإننا لا نزال نعتمد على الترجمة بنسبة لا تقل عن ٩٧٪ في كل الكتب الموجودة، وفي كثير من الأحيان هناك معلومات مغلوطة عن الوطن العربي وتاريخه.

أما على صعيد النشر، فيكفي أن هناك مؤسسة واحدة في بريطانيا حجم إنتاجها حجم إنتاج الناشرين اللبنانيين وقوتهم التجارية كلهم، وهناك مؤسسة أخرى في أمريكا حجم أعمالها يعادل الناشرين المصريين جميعهم، ومعلوم أن دور النشر الأجنبية لها مجلس إدارة ينسق أعضاؤه فيما بينهم بما يثري العملية الإنتاجية، فضلاً عن تطوير أعمالهم[٤].

كما أننا ما زلنا نستورد الكثير من المرئيات الطفولية من الغرب، وتتم دبلجتها أو ترجمتها وتوجه إلى الطفل العربي، رغم ما فيها من قيم وعادات تخالف ديننا وثقافتنا،

مؤسسة واحدة في بريطانيا يعادل إنتاجها حجم إنتاج الناشرين اللبنانيين!

هدف البعض الرئيس هو جذب الطفل وتشويقه بكل السبل وهو ما يكون له تأثير سلبي على المضمون

وعلى سبيل المثال؛ هناك مسلسل مترجم يبث في إحدى قنوات الأطفال العربية، فيه الكثير من الإشارات عن العلاقة بين الجنسين، وأهمية وجود روابط عاطفية مبكرة بين الولد والبنت، وهذا ضمن ما يسمى التثقيف الجنسي المبكر، بجانب عشرات الأفلام المترجمة التي تروج للعنف والخداع بوصفهما بطولة وذكاء.

وعلى جانب المضمون في قصص الأطفال، فإننا نجد ظواهر مفزعة، تتمثل في عدم وعي بعض كتّاب الطفل بالقيم ولا بالمعلومات والحقائق، وقد بدأ هذا مع الجيل الأول من كتّاب الطفل، ولا يزال للأسف مستمراً لدى البعض، الذين يضعون هدفهم الرئيس جذب الطفل وتشويقه بكل السبل، على نحو ما نجده جلياً في سلسلة المكتبة الخضراء للأطفال، التي حوت عشرات القصص، كثيراً منها منقول عن الغرب، أو مأخوذ من بعض خرافات التراث العربي الشعبي.

ويبدو هذا واضحاً في قصص الجن والعفاريت وأمنا الغولة والسحرة؛ وكلها تزرع الخوف في نفوس الأطفال، وتجعل هذه الكائنات الخرافية حقائق ثابتة، على نحو ما نقرأه في قصة «سندريلا والأقزام السبعة»، وكيف أن الساحرة كانت متآمرة عليها، وهناك أيضاً قصص عديدة تدور حول البطل المنقذ الذي يستطيع قهر السحرة الذين مسخوا حبيبته وحولوها إلى قرد أو غزال أو شجرة، وقد صيغت هذه الفكرة في عشرات المسرحيات وأفلام الطفل، ويظن القائمون عليها أنها أفضل وسيلة لجذب عيون الأطفال بأحداثها المدهشة وصراعاتها المعقدة.

لا شك أنهم متأثرون في ذلك بالإبداع الغربي المتتابع والمتراكم، وأشهر نتاجاته سلسلة «هاري بوتر» (Harry Potter) المؤلّفة من سبعة كتب للكاتبة البريطانية «ج. ك. رولنغ»؛ وتحكي قصة الصبي الساحر «هاري بوتر»، منذ اكتشافه لحقيقة كونه ساحراً، وحتى بلوغه سن السابعة عشرة، فتكتشف ماضيه وعلاقاته السحرية وسعيه للقضاء على سيد الظلام «لورد فولدمورت».

وقد حققت هذه السلسلة نجاحاً مذهلاً، منذ صدور الجزء الأول منها وعنوانه «هاري بوتر وحجر الفلاسفة»، عام ١٩٩٨م، وتُرجمت إلى معظم لغات العالم الحية ومنها العربية، وقد بيع من الكتاب السادس وعنوانه «هاري بوتر والأمير الهجين» عشرة ملايين نسخة عشية صدوره، وعُدّ من أكثر الكتب مبيعاً في التاريخ، إلا أن الكتاب السابع والنهائي من السلسلة وعنوانه «هاري بوتر ومقدسات الموت» يتفوق عليه حيث بيع منه ثمانية ملايين نسخة في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها عشية صدوره في ٢١ يوليو ٢٠٠٧م.

وعلى الجانب الآخر، هناك من يقدم قيماً سلبية تتمثل في الحصول على الثروة دون عناء، والمثال الأبرز لذلك قصة «علي

بابا والأربعين حرامي»، فقد استطاع علي بابا بطل القصة الحصول على زكائب من الذهب والمجوهرات عندما اكتشف مغارة اللصوص التي تفتح بجملة سحرية وهي «افتح يا سمسم»، وانتصرت أحداث القصة في النهاية لعلي بابا وجاريته مرجانة، ضد تآمر شقيق علي بابا الخبيث، ونسي راوي القصة أن علي بابا حصل على أموال مسروقة ليست حقاً له، وأنه صار ثرياً فجأة ودون أي جهد أو مهارة منه.

وهو ما ناقشه أحد الأفلام السينمائية المصرية وعنوانه «محاكمة علي بابا» (١٩٨٧م)، حيث اعترض الطفل في الروضة على معلمته التي دأبت على حكي القصة، وقال لها الصغير: إن علي بابا حرامي مثل الحرامية، وهو ما رفضته المعلمة، وعنفت الطفل بشدة، مما جعله يمتنع عن الذهاب إلى الروضة، لأنه مصمم على أن علي بابا لص، وطلب من والده عقاب علي بابا، فلم يجد الأب مناصاً إلا الذهاب إلى قسم الشرطة، ويطلب من الضابط عمل تمثيلية بالقبض على «علي بابا» ووضعه في القفص، ليقتنع الابن الصغير، فابتسم الضابط، واتصل بمستشفى الأمراض العقلية.

وفي الفيلم نفسه، فإن الابن الأكبر للأب (يحيي الفخراني) يرفض حفظ قصيدتين للمتنبي؛ الأولى في مدح كافور الإخشيدي، حاكم مصر، والثانية في هجاء نفس الشخص، فقال الابن: إنه منافق يتاجر بالشعر، ويتكسب به، وفشل معلم اللغة العربية مع الأب في إقناع الولد، الذي سكت على مضض، وكان لا بد من الرد عليه بأن بضاعة الشعراء هي الشعر من أجل التكسب والإثراء عبر غرضي الشعر المدح أو الهجاء، وكان هذا أمراً مستساغاً في البيئة العربية قديماً، والعبرة هنا بجمالية النص وليس بالنية من ورائه.

عقدة شهريار

أيضاً، من المشكلات ذات الصلة بفنون الطفل العربي، إعلاء الذكورية في الآداب والفنون الموجهة للطفل، وتغييب الأنثى بشكل متعمد، فيما يسمى «عقدة شهريار»، التي تتجلى في عناوين مجلات الأطفال العربية التي تحمل أسماء ذكورية على نحو ما تقدم، وترصد الإحصائيات في هذا الصدد أنه في مجلد واحد يحوي أعداداً سنوية لمجلة طفولية عربية توجد ثماني شخصيات ذكورية في مقابل شخصية أنثوية واحدة، أما النسبة العامة لتمثيل الفتاة وخطابها الأنثوي فهي ١٣٪ في مقابل ٨٧٪ من تمثيل الذكور في المجلات العربية، كما أن مهن الذكور وألعابهم وأنشطتهم تغطي غالبية

قصة «علي بابا والأربعين حرامي» تقدم قيماً سلبية تتمثل في الحصول على الثروة دون عناء

من مشكلات فنون الطفل العربي إعلاء الذكورية في الآداب والفنون وتغييب الأنثى بشكل متعمد

المحتوى المضموني في فنون الطفل[٥].

ومن المفارقات أن نجد الطفل القارئ أكثر ذكاء وعلماً في أحايين كثيرة من كاتب القصة نفسه، فقد اعترض أحد الأطفال عندما سمع قصة الأديب العالمي «بورخيس» التي تدور حول الثعلب الذي أراد الحصول على قطعة الجبن التي في فم الغراب، فقال له: إن صوتك يا غراب حلو، كما تقول حيوانات الغابة، فلماذا لا تسمعني؟ فانخدع الغراب وراح يغني لتسقط قطعة الجبن فيأكلها الثعلب، قال الطفل: لا الغراب ولا الثعلب يأكلان الجبن، ومن المعلوم أن الغراب لا يغني! وهو نفس ما قاله طفل في موقف آخر، عندما سمع قصة عن الأسد الحنون الذي يجلب الطعام لأولاده، فقال الطفل: إن اللبؤة زوجة الأسد هي الموكول لها إحضار الطعام!

وختاماً؛ نؤكد حاجتنا الماسة إلى إعداد منهجي علمي لكتّاب الطفل ومبدعيه في العالم العربي، وحبذا إيجاد برامج أكاديمية أو منصات إبداعية تكون موجهة لمن يتصدى إبداعاً وتأليفاً لفنون الطفل، من أجل تقديم منظومة علمية متكاملة من القيم والأخلاقيات الإسلامية والعربية، وتعلمهم فن التخييل، وهو أمر غاية في الأهمية، فلا يزال كثير من أدباء الطفل وكتّاب السيناريو يعتمدون على الخرافات وتكوين شخصيات أسطورية أو خارقة من أجل تقديم نماذج للأطفال تجمع بين التشويق والإثارة، دون بث قيم سلبية أو الترويج لعادات وتقاليد ضد منظومتنا الأخلاقية والاجتماعية.■

الهوامش

(١) أدب الأطفال: فلسفته وفنونه ووسائطه، هادي الهيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص٧٢.

(٢) انظر: أدب الأطفال العربي: واقع وتحديات، د. موفق رياض مقدادي، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية، الجامعة الأردنية، مج٤١، ع١، ٢٠١٤م، ص١٢٩.

(٣) قصص الأطفال ومسرحهم، د. محمد حسن عبدالله، دار قباء للنشر، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٢٢.

(٤) من أعمال ندوة مركز الخليج للدراسات عن أدب الطفل العربي، نوفمبر٢٠٠٩، http://www./alkhaleej.ae/alkhaleej

(٥) من وثائق المؤتمر الثاني لأدب الطفل في العالم العربي، مركز بحوث أدب الطفل، دار الكتب المصرية، ٢١، ٢٢/١١/٢٠١٧م.

رموز إسلامية تربوية بأوروبا لـ«المجتمع»:

العملية التربوية يجب أن يُنظر إليها من منظور غير تقليدي

أكد عدد من الفاعلين في مجالات التربية والتعليم في أوساط مسلمي الغرب أنه حان الوقت لمراجعة التصورات المسبقة حول العملية التربوية لأبناء المسلمين بأوروبا في ظل التغييرات السريعة التي عصفت بمنظومة القيم، داعين لتفعيل المؤسسات التربوية المتخصصة في أوروبا للقيام بهذه المهمة التي تعد الأهم بالنسبة لمستقبل التواجد الإسلامي بالقارة العجوز.

جاء ذلك في تصريحات لـ«المجتمع»، التي أجرت تحقيقاً حول هذا الأمر، مع أربعة رموز تربوية بشرق وغرب القارة الأوروبية على محوري «التحديات الراهنة» التي تواجه العملية التربوية للنشء في أوروبا، ثم «الحلول والتوصيات» للارتقاء بالعملية التربوية.

روسيا.. مربع التحديات:

من أقصى شرق القارة الأوروبية، شدد د. نضال عوض الله الحيح، نائب مفتي منطقة «حوض الفولكا» للعلاقات الخارجية، والعضو في مجلس علماء روسيا، على أنه لم يعد من المقبول النظر إلى العملية التربوية من المنظور التقليدي البحت في ظل فضاء العولمة الذي اخترق الحدود والثقافات بل والخصوصية الشخصية، حيث أصبح الإنسان كأنه يعيش في بيت من زجاج.

وحول أبرز التحديات التي تواجه العملية التربوية في الغرب، أوضح أنها:

١- غياب منظومة القيم والأخلاق: من التحديات الكبرى التي تواجه المربين غياب الأرضية الصلبة التي يمكن الانطلاق منها في العملية التربوية، وأعني هنا منظومة القيم والأخلاق التي تشكل مضمار السباق نحو التميز، فنظام العولمة أطاح بكل هذه القيم تقريباً وقيد العادات والتقاليد والنظم الدينية، فقد أصبحت الرغبة والحاجة الشخصية هي الأساس في التعاطي مع الواقع.

لذا فإننا نتعامل مع منظومة قيم لم نعهدها من قبل، ولم يسبق لنا التعاطي معها، وهذه الإشكالية لا تواجه المسلمين فقط، إنما تواجه جميع المجتمعات الإنسانية المحافظة، ولكننا -نحن المسلمين- نستشعرها بشكل كبير وواضح؛ لذا علينا بداية معرفة هذه التحديات التي نواجهها.

• د. نضال عوض

٢- منافسة العالم الافتراضي للواقعي: كما أجد أن من أبرز هذه التحديات أيضاً أن العالم الافتراضي أصبح يحتل مساحة أكبر من العالم الواقعي؛ لذا نجد أن معايير النجاح أصبحت تقاس بعدد المشاهدات أو تسجيل نقاط الإعجاب أو التعليقات، وكلها من العالم الافتراضي.

٣- تقلص دور الأبوين: كذلك من التحديات الكبرى تقلص دور الأب والأم في العملية التربوية، فلم يعودا الأساس في وضع البنيان؛ بل إن الكثير من الآباء يحتاجون إلى إعادة التأهيل والتربية!

٤- تنوع وتسارع وسائل التربية: ومن التحديات الكبرى هو تنوع الوسائل وتشعبها، بالإضافة إلى التسارع الكبير في تطورها، ومن المعلوم أن العملية التربوية عملية شاقة وتحتاج إلى وقت طويل وصبر ونفس عميق؛ فما أن تستقيم على طريقة معينة حتى تحولت إلى ماض لا تصلح للواقع.

وختم موضحاً بأن هذه مجموعة من التحديات الكبرى في عملية التربية للنشء خاصة في البلاد الغربية، حيث إن المنظومة القانونية والمجتمعية تجعل منها قضية سيادية تتدخل في السلطة بشكل مباشر وليست قضية أسرية بحتة.

خمس توصيات

وانطلاقاً من كل هذه التحديات، علينا أن نجد الوسائل المناسبة للمحافظة على مستقبل مشرق لأبنائنا، وفق د. الحيح، الذي يدرس مادة العقيدة الإسلامية بالمعهد الإسلامي بمدينة سراتوف، وعدّد منها خمسة، هي:

١- المخيمات الصيفية: وهي توفر محضناً تربوياً متكاملاً يعزل الطفل عن المحيط الواقعي والافتراضي، ويوفر له فضاء واقعياً متكاملاً يتعاطى فيه مع كل مكونات المجتمع ويشعره بأهميته، هذه فرصة ذهبية لغرس منظومة القيم وتشكيل أرضية صلبة في وجدان الطفل تساعده في حياته اليومية.

٢- استثمار المناسبات الدينية: من الوسائل المهمة كذلك استغلال المناسبات واستحداث مناسبات ليعيش الأطفال جو الاحتفال بقيمه والاعتزاز بدينه، والمناسبات والاحتفالات من أقوى المحفزات للأطفال وخاصة في بلاد الغرب، حيث إن الطفل يشعر بالاعتزاز والفخر بالانتماء لهذا الدين ولهذه الأمة.

٣- تعزيز الثقة بالنفس: من الوسائل الناجحة تعزيز الثقة بالنفس لدى النشء من خلال تكليفهم بأعمال وتقليدهم مهام تجعلهم يستشعرون أهمية وجودهم ومساهمتهم.

٤- تنظيم مسابقات متنوعة تشمل الأسر المسلمة: من خلال إشراك الآباء مع الأبناء في ألعاب هادفة، منها ثقافية ورياضية، وذلك من خلال تنظيم مسابقات متنوعة تشمل الأسر المسلمة كلها.

٥- تعزيز روح البذل والتضحية: ومن الوسائل التي نستخدمها أيضاً تعزيز روح التضحية والتبرع لدى النشء، من خلال تنظيم حملات جمع التبرعات والزيارات الميدانية لبيوت الأيتام والأسر الفقيرة.

النرويج.. ٨ تحديات:

وإلى أقصى شمال غرب القارة الأوروبية، حيث أكد إبراهيم بالكيلاني، مدير مدرسة الرابطة الإسلامية في النرويج، أن الحديث عن التحديات التي تواجه العملية التربوية للنشء في الغرب يجب أن تتجاوز النظر السطحي والتقليدي، الذي يبني رؤيته على نموذج التربية فيما يطلق عليه بالبلدان الأصلية، فهذه الأخيرة تعصف بها تحديات كبيرة.

وبناء على رؤيته القائمة على تجربته الخاصة في النرويج لفترات طويلة، اعتبر بالكيلاني -وهو مختص في علم النفس والتربية- أن هناك ثمانية تحديات رئيسة تواجه العملية التربوية للنشء في الغرب، هي:

١- منهجية التفكير التربوي ومراجعه ونماذجه، فنحن نعلم أن لكل جيل نظريته التربوية، يستمدها من التحديات التي تواجهه، وتواكب تطورات واقعه، فإلى الآن ما يزال المسلمون يتعاملون مع كل ما أنتجه الغرب من نظريات خاصة في مجالات العلوم الإنسانية على قاعدة الحق والباطل؛ فالباطل -حسب رؤيتهم- ما أنتجه الغرب، والحق ما حواه التراث!

٢- هيمنة فكرة الخوف على

• إبراهيم بالكيلاني

من التحديات الكبرى التي تواجه المربين بالغرب غياب الأرضية الصلبة التي يمكن الانطلاق منها

من الوسائل التربوية المهمة استحداث مناسبات معينة ليعيش الأطفال جو الاحتفال بقيمه والاعتزاز بدينه

النشء من الذوبان والانحراف؛ مما يجعل من العملية التربوية مربكة وتدور في دائرة التحصين غير المحدد وغير المجسّد في نماذج جاذبة، فهناك غياب لمقومات الجاذبية للصورة التربوية السائدة في الأمة، بل قل: هذه الصورة فاقدة للفعالية الحضارية التي يتم التبشير بها نظرياً، فالشاب أو الشابة في الغرب يعيشون بين أحضان النموذج الجاذب، ويلامسون فوائده في المدرسة والعمل والشارع، بينما عندما يولّون وجوههم إلى الشارع الآخر (الداخل الإسلامي) يرون ويلامسون كل صور التناقض الأخلاقي الذي يدعو إليه الإسلام، ولا يستطيعون المواجهة، فيؤدي ذلك إلى الاستسلام طوعاً أو كرهاً.

٣- عدم التوسّل بالتخصّصات العلمية التي تبني التصورات النظرية للمسألة التربوية.

٤- التفريط في الفرص المتاحة وهي كبيرة وعديدة، بحجج واهية.

٥- قلة وضعف المحاضن التربوية، وعلى قدر ما انتشرت المساجد، فإن دورها لم يبلغ بعد تحقيق البناء التربوي المطلوب -إلا بصور محتشمة- فالمحاضن التربوية ضرورة المرحلة في تقديري.

٦- غياب البرامج التكوينية للمربين، ونعني بها التكوين تحت إشراف أهل الاختصاص وليس على المنهج العاطفي الذي يقوم به الدعاة؛ فهو يحرّك السواكن ولكن لا يبني عقولاً فاعلة.

٧- الازدواجية التي تعصف بالكثيرين، ومنشؤها صورتا الأب والأم في تعاملهما مع القانون والعمل والمجتمع، حيث الازدواجية في البيت وخارجه، في المسجد والشارع، مع المسلم وغيره، فالنُّصح لا يؤدّي دوره إذا لم يرافقه عمل، وسيكون وبالاً إذا ما رافقه عمل مضاد.

٨- الشعور بالدونية مقارنة بين حال الأمة وحال المَهاجر، فالشاب المقيم في الغرب يرى الفقر والفساد والمرض والجهل والاقتتال والاستبداد كأنها سمات ثابتة في الأمة الإسلامية، مما يُشعره بالألم ويؤدّي به في أحيان كثيرة إلى الاحتراق النفسي، وهو بداية التماهي مع التطرف والإرهاب.

> **بعض المسلمين يتعاملون مع كل ما أنتجه الغرب من نظريات خاصة في العلوم الإنسانية على قاعدة الحق والباطل**

> **نعاني من غياب البرامج التكوينية للمربين بإشراف المختصين وليس على المنهج العاطفي الذي يقوم به الدعاة**

أفكار لا حلول

وحول الحلول المناسبة لإشكاليات العملية التربوية، أوضح بالكيلاني، وهو يعمل في قطاع التعليم بالنرويج منذ عام ٢٠٠٣م، أنه من الصعب الحديث عن الحلول الممكنة في هذه العجالة، وعلل ذلك بأن الحلول تُبنى على رصد دقيق للواقع، ووصف موضوعي له.

وبدلاً من طرح الحلول فضّل بالكيلاني تقديم أفكار يمكن أن تساهم في تطوير الأداء التربوي، أجملها في ثلاث أفكار، هي:

١- تركيز الجهود على إنشاء محاضن تربوية متخصصة، فالاستثمار في هذه الجبهة هو الذي سيقوم باحتضان النشء الجديد.

٢- تسليم العملية التربوية إلى أهل الاختصاص؛ فالأئمة والمشايخ لا يسع جهدهم ووقتهم الإشراف على العملية التربوية، وكل جهد لا ينبني على التخصّص ستكون آثاره عكسية، والواقع يشير إلى ذلك، وعلى أبناء الجاليات المسلمة توجيه شبابهم إلى التخصّص في المجالات التربوية، حتى يتوصلوا لآخر ما بلغته تلك التخصّصات، وإدراك المنهجية التي تقوم عليها التربية في هذه البلدان فهي مفتاح الفهم والفعل معاً.

٣- القيام ببرامج تكوينية للأسر تنطلق من التوعية القانونية التي توجب الانضباط والتحرّي، لتطال كل ما يمكّن الأسر من التفاعل مع أبنائهم في الواقع الجديد بناء على رؤية جديدة تجمع بين الخيرين؛ الخير الذي يحمله الإسلام، والخير الذي يحمله الواقع ويتيحه من فرص حقيقية.

ألمانيا.. ٣ مقدمات:

ومن وسط أوروبا، أوضح الشيخ طه سليمان عامر، رئيس هيئة العلماء والدعاة بألمانيا، أن التحديات المعاصرة في تربية الأطفال في الغرب كثيرة، إلا أن أبرزها تحديان اثنان، هما:

١- ضعف الفقه بالواقع المعيش، وأعني به:

أ- عدم معرفة المجتمع بلغته وتاريخه وعاداته وثقافته وفرصه وتحدياته والتيارات التي يموج بها.

ب- الجهل باللغة وأثرها في قوامة المربي لا تخفى، فعندما يجهل الأب أو الأم لغة البلد الذي يعيش فيه، فمعنى ذلك أنه سيجهل ما يدور في الواقع من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فضلاً عن عدم مواكبته للمناسبات العامة والمهمة الخاصة بالمجتمع، فلا يحسن التعامل معها بما كما يبتغي، وذلك يجعل المربي في صورة معزولة عن الحياة الاجتماعية؛ مما يؤثر سلباً على دوره المحوري في التربية، كذلك يضعف واجبه في التواصل مع مؤسسات الدولة التعليمية والتربوية، ويقلل فرص حضوره فيها، الأمر الذي يؤثر على جانب القدوة بشكل أو بآخر.

جـ- عدم معرفة ثقافة

• الشيخ طه سليمان عامر

المجتمع وعاداته يضعف الرابطة النفسية بينه وبين محيطه، ويؤثر على تعايش المسلم وتكيفه مع المجتمع بالصورة الإيجابية، ومما نعانيه، بهذا الصدد، عدم التفرقة في بعض الأعياد الأوروبية بين ما يدخل في دائرة العادات والعقائد فأنتج إشكالاً فقهياً وجدلاً عقيماً بين قطاع عريض من مسلمي الغرب، منه على سبيل المثال:

- التهنئة بعيد رأس السنة الميلادية والخلاف المتجدد حولها كل عام وأثره التربوي على أبنائنا.

- الاحتفال بأعياد الميلاد والتضييق بشأنها وإلباسها ثوب الجدل الفقهي وإدخالها في دائرة التشبه بغير المسلمين.

رغم كون المثالين المذكورين وغيرهما له علاقة بجانب العادات والمعاملات بوجه من الوجوه.

٢- استنساخ الأساليب التربوية والعيش في التجارب القديمة:

فلا يمكن القبول أن نستنسخ أساليب تربوية في بيئة وزمان غير واقعنا وعصرنا ومكاننا، هذا إن اتفقنا بداهة على نجاعة تلك الأساليب القديمة في زمانها، ومن المؤسف أن نفراً من المربين والمعلمين في الغرب لا يراعي مبدأ تغير الوسائل بتغير المكان والزمان.

وحول سبل مواجهة تلك التحديات والتغلب عليها، قال الشيخ عامر: إن هناك ثلاثة أمور رئيسة، هي:

١- التفقه التربوي: كثيراً ما يسأل الأب عن علاج ظاهرة سلوكية معينة لدى ابنه، ولا تجده قرأ كتاباً واحداً أو حرص على حضور دورات في منهج التعامل مع الطفل في مرحلة عمرية معينة.

على أبناء الجاليات المسلمة توجيه شبابهم إلى إدراك المنهجية التي تقوم عليها التربية بالغرب

عدم معرفة ثقافة المجتمع يضعف الرابطة النفسية بين المسلم ومحيطه ويؤثر على تعايشه

٢- اكتساب الخبرات من التجارب الناجحة، فهناك أسر أبدعت في صياغة شخصيات أبنائهم، فعلينا أن نقف على تجربتهم ونستفيد منها مع رعاية مبدأ أن كل طفل عالم مختلف في بعض تفاصيله عن غيره.

٣- إحياء الجانب الرباني، وكثرة الإلحاح على الله تعالى بصلاح الذرية ووقايتهم من كل سوء، فالله تعالى هو الولي والهادي.

أوكرانيا.. أربع توصيات:

وعودة لشرق أوروبا، حيث أكد الداعية م. طارق سرحان، رئيس قسم الثقافة الإسلامية بالمركز الإسلامي في العاصمة الأوكرانية كييف، أن مستقبل الأطفال وتربيتهم هو التحدي الأصعب أمام مسلمي الغرب، في ظل عولمة متعسفة ومتطرفة، وفلسفة حقوق للأطفال لا تليق أن تسمى إلا بالشاذة عن الطبيعة.

وشدد على أن هناك أربعة أمور مهمة يجب مراعاتها في تربية أولادنا في هذه الظروف غير العادية لعاداتنا وثقافاتنا، وهي:

١- الحب: يشكل الحب عمود الأساس في شخصية الطفل، وتزيد أهمية هذه العاطفة عندما تعيش في مجتمع مادي تطغى عليه الأنانية، أو تكثر في الشدائد أو الاضطرابات النفسية، وتزداد أهمية هذه الوسيلة التربوية في الدول التي يكون للحكومة فيها يد سلطة على الأسر، التي تملك حق العبث بالأسرة وتفكيكها بحجة الحفاظ على حقوق الأسرة والطفل.

وفي الوقت نفسه، أنبه إلى أن البعض يغالون في حبهم لأطفالهم لدرجة أنهم يجعلون منهم شخصية لا ترى إلا نفسها، فلا بد هنا من توازن، وأعتقد أن أفضل الوسائل هنا أن ينمو الطفل في وسط أقرانه وأقاربه، وأن يحصل على الحب كجزء من الجماعة، ويظهر هذا جلياً في الأسر المكونة من عدة أطفال.

٢- التحول من التوبيخ إلى التوجيه: للأسف تعود كل من الأب والأم العربيين على الصورة النمطية للمربي الذي يقوم بتوبيخ التلميذ على أقل حركة أو كلمة، فظننا خطأ أن هذه هي التربية.

لقد أبدعت نظريات التربية الحديثة عندما دعت إلى أن دور الآباء هو توجيه الطفل لاتخاذ القرار ومشاركته في تنفيذه، وليس فرض القرار على الطفل ثم توبيخه، وحتى لو رأيت أن الطفل قد يخطئ، فإن الخطأ هو جزء من كسبه للخبرة التي تجعل منه شخصية قادرة على مواجهة تحديات الحياة، إلا أن هناك ثلاثة أمور لا يجوز التغافل

• م. طارق سرحان

عنها كما يقول د. مصطفى أبو سعد، وهي: «كل ما هو حرام»، و«كل ما هو خطر»، و«كل ما هو ضد القانون».

٣- الموازنة بين العزلة والذوبان: لا بد أن يكون للطفل ما يميز به شخصيته ودينه وعاداته وتقاليده، وفي الوقت نفسه على الطفل أن يكون متصلاً بواقعه، عارفاً لمجتمعه، غير منعزل عنه، فعالاً في مجتمعه، وهذا يكون عن طريق نشر ثقافة المرونة والانفتاح على الآخر، ونشر ثقافة الإحسان للآخرين والكرم مع الجيران، وتفعيل الشباب في العمل الاجتماعي وغيره كثيراً.

٤- التوازن بين التربية الروحية والترفيه النفسي: للأسف كثيراً ما كنا نشاهد في دول الغرب أن الأطفال الذين حفظوا القرآن مبكراً لم يكونوا الأكثر التزاماً بتعاليمه وأخلاقه، بل في كثير من الأحيان تكون النتيجة على عكس ما هو متوقع تماماً، والسبب الوحيد في هذا هو ضغط الآباء على الطفل وإقحامه على تقضية معظم وقته في تعلم القرآن، وحرمانه مما تحتاجه طفولته من لعب ونزهة وترويح عن النفس مع أبناء سنه.■

أخبار الأقليات

افتتاح المسجد التاريخي بمدينة أرخانجلسك شمالي روسيا

افتتح، في ٣ فبراير ٢٠١٧م، المسجد التاريخي في مدينة أخانجلسك، الواقعة في أقصى الشمال الروسي (١٢٠٠ كيلومتر شمال العاصمة موسكو)، وفقاً لصفحة مجلس شورى المفتين لروسيا على «فيسبوك».

وأقيم حفل الافتتاح تحت رعاية المفتي الشيخ راوي عين الدين، رئيس مجلس شورى المفتين لروسيا، رئيس الإدارة الدينية لمسلمي روسيا الاتحادية، وبمشاركة رستم مينيخانوف، رئيس جمهورية تتارستان، وإيغور أورلوف، محافظ مقاطعة أرخانجلسك، وعدد كبير من الأئمة، وممثلين عن رجال الدين المسيحي واليهودي.

وكان المسجد التاريخي في أرخانجلسك مسجداً خشبياً شيد عام ١٩٠٥م، من قبل الجالية التتارية المسلمة في المدينة، التي استوطنت هذا الإقليم في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ولكن حريقاً نشب عام ٢٠١٤م، انتهى بتدمير المسجد كلياً، وتحويله إلى ركام، ثم تمت إعادة بناء هذا المسجد بشكل مطابق تماماً للنسخة التاريخية الأصلية.

وأكد المفتي الشيخ راوي عين الدين في كلمته بحفل الافتتاح أن الجالية التتارية المسلمة المكونة من العسكريين الذين كانوا يخدمون في الحامية العسكرية في تلك المنطقة والتجار، والحرفيين وعائلاتهم؛ اندمجوا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع المحلي، وأصبحوا جزءاً تاريخياً منه، وساهموا مساهمة فعالة بالتنمية الاقتصادية فيه، وكانوا أحد أسباب ازدهار الشمال الروسي.■

الإعلان عن تأسيس رابطة المرأة الفلسطينية في السويد

أعلن في ١١ فبراير ٢٠١٨م، بمدينة مالمو، عن إطلاق رابطة المرأة الفلسطينية في السويد، بمشاركة نسائية فلسطينية، حيث انتخبت تهاني البدوي رئيسة للرابطة، في حين انضمت إلى رابطة المرأة الفلسطينية في أوروبا، وفقاً للموقع الإلكتروني لـ«المؤتمر الشعبي لفلسطينيي الخارج».

وأكدت رئيسة رابطة المرأة الفلسطينية في السويد أن تأسيس الرابطة يهدف إلى تنظيم وتجميع الجهود التي تبذلها المرأة في خدمة القضية الفلسطينية، واستكمالاً لدور المرأة الفلسطينية في الوطن المحتل.

وتحدثت البدوي عن أهداف الرابطة والفعاليات التي ستقيمها خلال العام الجاري، كما شكلت الهيئة الإدارية للرابطة ولجان العمل.

وفي كلمة رئيسة رابطة المرأة الفلسطينية في أوروبا مرفت كرت، رحبت بتأسيس الرابطة في السويد وانضمامها إلى باقي الأقطار العاملة في الساحة الأوروبية، وتحدثت عن تاريخ تأسيس رابطة المرأة في أوروبا وأماكن تواجدها، وأهم إنجازاتها في السنوات الماضية على الصعيد الإعلامي والثقافي والتراثي والفلكلوري، ومشاركتها في المؤتمرات والندوات والاعتصامات والمظاهرات والتفاعل مع أحداث القضية الفلسطينية.

كما تخلل الإعلان عن الرابطة عرض فيلمين؛ الأول حول جهود المرأة الفلسطينية في السويد، والآخر يعرض إنجازات رابطة المرأة الفلسطينية في أوروبا، واختتم اللقاء بنقاش مع الحضور حول الاقتراحات والأفكار لتطوير العمل وتقديم الأفضل.■

«كير» يكسب نزاعاً قانونياً ضد قرار «ترمب» بحظر دخول المسلمين لأمريكا

أعلن مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير) أنه كسب دعوى قضائية اتحادية، بالإنابة عن ستة أفراد للطعن في مشروعية القرار الثالث للرئيس الأمريكي «دونالد ترمب» بحظر دخول المسلمين إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وبحسب ما نشره الموقع الإلكتروني لـ«كير» على الإنترنت في ١٥ فبراير ٢٠١٨م، فقد أعلنت اللجنة المؤلفة من ١٣ قاضياً بالدائرة الرابعة لمحكمة الاستئناف الأمريكية في ريتشموند بولاية فرجينيا بكامل هيئتها، أن قرار «ترمب» بحظر دخول المسلمين يفتقر إلى المشروعية والدستورية.

وفي حكمها الصادر ضد إدارة «ترمب»، خلصت المحكمة إلى أن إعلان «ترمب» المتعلق بحظر المسلمين يتنافى مع الدستور، ويشوبه الروح العدوانية تجاه الإسلام، وأضافت المحكمة أن حظر المسلمين يشكل انتهاكاً لبند تأسيس التعديل الأول؛ لأن الغرض الأساسي من الحظر هو استبعاد المسلمين من دخول الولايات المتحدة.

وقد اعترفت الدائرة الرابعة بالضرر البالغ الذي لحق بهؤلاء المتضررين من حظر المسلمين، معلنة أن التفريق والفصل المطول ولأجل غير مسمى بين الآباء والأمهات والأطفال والأشقاء والشركاء لا يثير الشعور المؤقت بالقلق فحسب، بل إنه يؤدي كذلك إلى إحداث توترات وضغوط دائمة في العلاقات الإنسانية الأساسية التي تكتسب من خلال مشاركة الوقت والخبرات.

وتعليقاً على هذا الحكم، قال نهاد عوض، المدير التنفيذي لـ«كير»: إننا سعداء لأن محكمة أخرى اعترفت بالضرر المتواصل الذي يعاني منه المسلمون الأمريكيون بسبب السياسات التمييزية وغير الدستورية التي تنتهجها إدارة «ترمب».

ويعد هذا أحدث حكم قضائي ضد جهود إدارة «ترمب» لتطبيق قرار حظر المسلمين.

يشار إلى أن «كير» يعد أكبر منظمة للحريات المدنية ومناصرة المسلمين في أمريكا، وتتبلور رسالته في ترسيخ مفهوم الإسلام وتشجيع لغة الحوار وحماية الحريات المدنية وتمكين المسلمين الأمريكيين وبناء تحالفات تعزز العدالة والتفاهم المتبادل.■

انعقاد الاجتماع التمهيدي لمؤتمر فلسطينيي أوروبا الـ١٦ بإيطاليا

عقدت نواة اللجنة التحضيرية لمؤتمر فلسطينيي أوروبا الـ١٦ اجتماعاً تمهيدياً بميلانو الإيطالية في ١٨ فبراير ٢٠١٨م، لبحث ترتيبات المؤتمر الذي سوف ينعقد بميلانو في ٢٩ أبريل القادم.

وعبر صفحته الخاصة على «فيسبوك»، قال ماجد الزير، رئيس مؤتمر فلسطينيي أوروبا: إن نسخة هذا العام ستقام تحت شعار «سبعون عاماً وإننا لعائدون».

ووصف التحضيرات التي تمت في الاجتماع التمهيدي بأنها تبشر بمؤتمر ناجح بإذن الله، مادحاً الشباب والشابات من أعضاء التجمع الفلسطيني في إيطاليا الشريك الرئيس في تنظيم المؤتمر؛ لإظهارهم حماسة واستعداداً، لافتاً إلى تنظيم مميز ونوعي، ولاستقبال مجاميع فلسطينيي أوروبا والداعمين للحق الفلسطيني الذين سيفدون إليهم من جنبات القارة.

وختم كلماته مؤكداً أن مسيرة استعادة الحقوق مستمرة بإذن الله تعالى.■

دعاة وسياسيون لـ«المجتمع»:

«الأزهر» احترق في نار الأزمات السياسية

القاهرة: براء ماجد

للأزهر الشريف مكانة كبيرة في قلوب المسلمين في شتى أنحاء العالم؛ حيث يمثل قبلة للكثيرين منهم من شُداة العلم والفكر والثقافة؛ فهو يستمد رمزيته وقدسيته مما عرف عنه من الوسطية والاعتدال في الفكر والمواقف والاتجاهات.

لكن هذه القدسية وهذه الرمزية أصابها بعض الغبش والاهتزاز مؤخراً بعد أن تم الزج بالأزهر في بعض المواقف السياسية التي اختلفت حولها الآراء قبولاً ورفضاً، طبيعة أي عمل سياسي، خاصة مع موجة الأحداث السياسية العالية التي اجتاحت العالم العربي، وفي القلب منه مصر، خلال الأعوام الماضية.

في هذه السطور تحاول «المجتمع» إلقاء الضوء على بعض هذه الآراء، وما تستند إليه من حجج وبراهين.

رضا: بدلاً من تصديه لموجات الهجوم على الإسلام وقيمه وأحكامه صار صامتاً

«للأسف التلاعب السياسي بالأزهر وإجبار مشيخته ومؤسساته على اتباع المنهج السياسي لا الديني انحرف بالأزهر عن دوره، فبدلاً من أن يكون الأزهر حائط صد في وجه الظلم، وبدلاً من تصديه لموجات الهجوم على الإسلام وقيمه وأحكامه، صار صامتاً، حتى فقد الناس الثقة في أشخاصه ومؤسساته، حالمين باليوم الذي يعود فيه الأزهر لسابق عهده»..

بهذه الكلمات يعبر داعية مصري شاب يحب الأزهر الشريف وحريص على صورته التي تواجه هجوماً بين حين وآخر، وهو الداعية حسين محمد رضا، باحث ماجستير في المعهد العالمي للفكر الإسلامي المعاصر بجامعة بيروت الإسلامية، ويحلم بأن يواصل طريق الأزهر الذي بات يحترق في الأزمات المتصاعدة بمصر، حين تحين فرصة العودة لأرض الوطن في ظروف أفضل.

فحالة الأزهر ووضعه مثار نقاش دائم بين رضا وآخرين في الفترة الأخيرة، خاصة مع ظهور الأزهر بشكل مشرف في قضية فلسطين والقدس في مواجهة الصلف الأمريكي وقرار إعلان القدس عاصمة للكيان الصهيوني، لكن ما زالت مشكلة الأزهر مع الوضع الحالي في مصر، بحسب ما يرى البعض الآخر، أزمة أخرى في ظل الانتهاكات الحقوقية المتصاعدة بمصر في الآونة الأخيرة.

لكن الباحث الشاب بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي المعاصر يرى أهمية استمرار دور الأزهر بأي شكل، قائلاً: لأن يبقى دور الأزهر ضعيفاً خير من ألا يبقى، فهو يسد ثغرة في الدفاع عن مصر وهويتها الوسطية المعتدلة ولو في ميدان الأخلاق إذا ما عجز في غيره من الميادين، لا سيما أن عوام المصريين يتلقون تعاليم دينهم عن الأزهر والمنفتحين على منهجه من التيارات الإسلامية في مصر.

ويتابع القول: أنا أحد الذين يعتقدون أن الأزهر هو الصورة الحقيقية لمصر الإسلامية في اتزان مناهجه ووسطية فكره، وقوته في التصدي لكل حركات الانحراف الفكري والأخلاقي التي كانت تضرب المجتمع، وهو ما يجب أن يظهر في كل المؤسسة الأزهرية من المشيخة إلى طلبة المعاهد، الذي كان بدوره يمتد لأئمة الأوقاف فيحدث صحوة وسطية منضبطة في المجتمع، ترفض ما يخالف الدين والأخلاق والعرف، مثلما كان من الشيخ الذهبي في فترة الرئيس «السادات»، وما كان حديثاً في موجات الهجوم على الإسلام قبل وبعد ثورة يناير التي دعمت دور الأزهر، وكانت تود له الحرية ليعود لسابق عهده في القوة.

حملة شرسة

ويتابع قائلاً: ورغم الكبوة التي تعرض لها الأزهر، فإن من الواجب التصدي للحملة الإعلامية الابتعاثية الشرسة عليه، التي تنوعت بين المقروء والمشاهَد والمسموع، التي تريد أن تزيف هوية مصر الإسلامية، فتبدلها من إسلام اللّه السمح المعتدل المنزل على نبيه صلى اللّه عليه وسلم، إلى إسلام الغرب والأنظمة

رامي: أصبح ظهور شيخ الأزهر مدعاة للاحتفال لما استشعره المتابعون من استهداف أطراف سياسية له

السياسية العلمانية، وهو إسلام تم تقفيله وتجميعه في ورش ومصانع الغرب وتلك الأنظمة!

في الناحية الأخرى، يقف د. أحمد رامي، أحد قيادات المجتمع المدني في مصر، والعضو السابق بلجنة التنسيق بين النقابات المهنية، الذي يحاول دائماً متابعة أخبار الأزهر، حيث يرى أن الأزهر حاول صياغة موقف في ٣ يوليو ٢٠١٣م، يعبُر بالوطن وفق رؤيته من «دفع ضرر أكبر بضرر أصغر»، بحسب ما نقل عن شيخ الأزهر د. أحمد الطيب، وهو موقف أقل حدة من موقف الكاتب الراحل محمد حسنين هيكل الذي اعتبر ما حدث «ضرورة»، أو موقف بابا الكنيسة تواضروس الذي اعتبر ما حدث «جالباً للنعم»، وهو موقف يجب أن يوضع في إطار الوقت، وأن تعاد قراءته حالياً في ضوء المواقف المختلفة لمؤسسة الأزهر بالمشهد العام التي وضعت مسافة بين المؤسسة الدينية الإسلامية ممثلة في الأزهر، والنظام الحاكم، بحسب رامي.

هذه المسافة أدت إلى الهجوم الشخصي على شيخ الأزهر ومناهجه والهوية الإسلامية، خاصة بعد ما أدى تدخل عقلاء الأزهر في صياغة رؤية واضحة له بشأن ما يحدث في مصر، منهم الشيخ د. حسن الشافعي الذي لا ينسى أحد بيانه الأشهر بعد أحداث ٣ يوليو، يضيف د. رامي، الذي أكد أن هؤلاء العقلاء أدركوا خطورة الوضع الذي ترزح فيه مصر؛ فكان للأزهر عدة مواقف سواء في القدس أم في الدفاع عن القيم والهوية، حتى أصبح ظهور شيخ الأزهر

مدعاة للاحتفال، لما استشعره المتابعون من استهداف بعض الأطراف السياسية للأزهر الشريف بتاريخه وقيمه ودوره في صيانة الهوية الإسلامية، يضاف إلى ذلك غياب الأزهر عن التعاطي مع الشأن الداخلي المصري بكل ما فيه، وهو ما يمكن قراءته في إطار موقف جديد يسحب موقفه الأول الذي ظهر فيه بصورة واحدة نتيجة سوء تقدير الموقف، حتى وصل الأمر إلى مطالبة إعلاميين بإقالة شيخ الأزهر نفسه.

المحلل الديني للسلطة

من جانبه، يشير د. عمرو عادل، رئيس المكتب السياسي بالمجلس الثوري المصري، إلى أن الأزهر مر بعدة مراحل غيرت كثيراً من طبيعته، ويمكن إيجاز المراحل التي مر بها في محورين رئيسين؛ أولهما: فترة استقلاله المادي والفكري، وثانيهما: بعد تأميمه من الدولة.

ففي الفترة الأولى كان يعبر عن المجتمع وجزء منه، وكانت قياداته وشيوخه في أغلبها جزءاً من النسيج المجتمعي تتأثر به وتؤثر فيه، ولا يمكن إنكار الدور البطولي للأزهر في كل النقاط المهمة للنضال والكفاح عبر تاريخ مصر، خاصة في أثناء الغزو الفرنسي، وهي قمة الهرم في اندماجه الكامل بالمجتمع والتعبير عنه، وهذه كانت ظاهرة عامة في معظم المؤسسات قبل نموذج الحداثة، وتم تأميم الأزهر بعد ذلك لصالح السلطة عبر مسار طويل من السيطرة وعزله عن المجتمع، وهذه إحدى سمات النموذج الحداثي، وتفضيله حصر الدين في نموذج كنسي،

المنير: الدور الحقيقي للأزهر سيبدأ حين يؤسس للعدل وليس الاكتفاء بالشجب والإدانة

وقيادة يمكن التفاهم معها، وشعب تحت سيطرة الكنيسة، وهذا يستلزم عزل المؤسسة أو «كنسنتها».

ويوضح عادل أن الصورة الذهنية القديمة بقيت ولكن مع نمط مختلف عن الماضي، فقد أصبح الأزهر مؤسسة تعبر عن السلطة وليس المجتمع؛ ولذلك ففي الماضي كان يقود النضال ضد الظلم مع المجتمع ضد النظام، أما الآن فأصبح يمارس دور المحلل الديني للسلطة.

إلا أنه يرى أن الأزهر يمكنه أن يعود لسابق عهده، ولكن في ظل نظام سياسي يقبل بتوسيع مجال السلطة للمجتمع وتقليل مجال السلطة لنفسه، أما في ظل النظام الاستبدادي أو المعادي للدين فسيبقى الأزهر فاقداً لدوره، ذلك أن حل أزمة الأزهر جزء من حل أزمة مصر، في هذه اللحظة ربما يعود الأزهر الذي عرفناه على مدى تاريخه قبل تأميمه.

دور متراجع

د. ممدوح المنير، مدير الأكاديمية الدولية للدراسات والتنمية، يرى أن الأزهر عملياً ومنذ ظهور شيخ الأزهر الحالي بالمشهد السياسي في الثالث من يوليو ٢٠١٣م، ودوره في خدمة الوطن والأمة متراجع، بل أصبح التراجع في بعض الأحيان نعمة مطلوبة بعد تحول التراجع إلى العكس تماماً من تأييد وتبرير لما يفعله النظام، والتصديق على أحكام الإعدام بحق الأبرياء كما يفعل المفتي، مؤكداً أن الدور الحقيقي للأزهر سيبدأ حين ينادي بالعدل وليس الاكتفاء ببيانات الشجب والإدانة فقط لا غير، بحسب تعبيره.

محمد علي الصوفي، الكاتب المتخصص في الشؤون الدينية، يضيف لـ«المجتمع» أن المرحلة الأخيرة للأزهر باتت من أصعب مراحله؛ لأنه ظهر بصورة لا تليق بنضال المؤسسة ولا حكمتها ولا حيثياتها الدينية، وكان المفترض أن يكون في مثل الأزمات الحالية رمانة ميزان، وجزءاً من إدارة حوار وطني لحل أزمات الوطن انطلاقاً من دوره الديني، القائم على مفاهيم دينية لا غنى عنها لأحد؛ كالإصلاح بين الناس، وإعلاء قيمة الحوار.■

الغوطة الشرقية.. الهدنة حبر على ورق والمدنيون في الأقبية

لم يشفع قرار مجلس الأمن (٢٤٠١) المتعلق بوقف إطلاق النار في الغوطة الشرقية للمدنيين بالخروج من الأقبية والملاجئ، فنظام «الأسد» وحليفه الروسي لم يلتزما بالقرار رغم تصويت مندوب روسيا لصالح القرار.

القرار الذي اعتبره متضامنون مع الغوطة الشرقية بمثابة «الخلاص» لأهلها، لم يصمد أمام الطيران الحربي السوري والروسي، الذي واصل قصف مدن وبلدات الغوطة الشرقية، مخلفاً عشرات القتلى والجرحى في صفوف المدنيين.

عمار حمو

وكانت الكويت إلى جانب السويد وزعتا يوم الجمعة ٢٣ فبراير الماضي صيغة معدلة لمشروع القرار الذي يطالب بهدنة إنسانية في عموم سورية لمدة ثلاثين يوماً، ونصّ القرار الذي تم اعتماده في ٢٥ من الشهر ذاته على وقف إطلاق النار في سورية من جميع الأطراف دون إبطاء، واستثنى القرار العمليات العسكرية ضد «تنظيم الدولة»، و«جبهة النصرة»، ودعا مجلس الأمن الدول الأعضاء المعنية إلى تنسيق الجهود الرامية إلى رصد وقف الأعمال القتالية، وشدد على ضرورة الوصول الآمن، ودون إعاقة، بشكل مستدام لقوافل الأمم المتحدة وشركائها التنفيذيين، ولكن هذا لم يحدث بحسب مصادر عدّة مدنية وعسكرية معارضة.

عبد الحميد سراج، من زاوية في أحد أقبية مدينة دوما، قال لـ«المجتمع»: عن أي هدنة نتحدث؟! اعتدنا في الغوطة الشرقية على رصد خرق وخرق وخرق لنظام «الأسد» وروسيا، ورغم أملنا أن تكون هذه الهدنة مختلفة عن سابقاتها فإنها خُرقت في دقائقها الأولى.

وأكد سراج أن الناس خرجوا من أقبيتهم وملاجئهم، ولكن عادوا أدراجهم تحت الأرض بعد استمرار القصف الروسي، معتبراً أن الهدنة لم تكن أكثر من «حبر على ورق».

وفي رسالة صوتية للناطق الرسمي باسم الدفاع المدني في ريف دمشق سراج محمود، حصلت «المجتمع» على نسخة منها، بُعيد إقرار مجلس الأمن للقرار رقم (٢٤٠١)، قال محمود: «لا أستطيع إلا أن أقول: إن النظام السوري وحلفاءه الروس يقومون الآن بمتابعة إبادة هذه المنطقة، بعد قرار مجلس الأمن تم استخدام أسلحة لم تستخدم في الأيام الماضية، بعد الاتفاق تم استخدام الكلور، بعد الاتفاق تم استخدام الفوسفور، بعد الاتفاق تم ارتكاب مجازر أخرى، بعد الاتفاق هناك أطفال ونساء لم تتمكن كوادر الدفاع المدني من إخراجهم من تحت الأنقاض؛ وذلك بسبب وجود إحدى عشرة طائرة في سماء الغوطة لا تفارقها على الإطلاق».

وتابع محمود في رسالته: «هناك دماء وأشلاء متواجدة في الطرقات، عشرات القتلى والجرحى في الغوطة الشرقية، من بينهم طفل قتل نتيجة استنشاق الغازات السامة، ومن بين الإصابات عناصر من الدفاع المدني».

وبعيد قرار مجلس الأمن، سارعت روسيا إلى الالتفاف على القرار الأممي وأعلنت عن هدنة مؤقتة لخمس ساعات فقط، في يوم الثلاثاء ٢٧ فبراير الماضي، وقال وزير الدفاع الروسي «سيرجي شويجو» قبل الهدنة الروسية بيوم واحد: إن الرئيس الروسي أمر بهدنة إنسانية في الغوطة من الساعة التاسعة صباحاً وحتى الثانية ظهراً.

وأتبعت آلة الإعلام السورية والروسية قرار الهدنة بالإعلان عن ممرات آمنة للراغبين بالخروج من الغوطة الشرقية، وهو ما اعتبره ناشطون أن روسيا تسعى إلى تكرار سيناريو حلب في الغوطة الشرقية.

وردّاً على الممرات الآمنة، كتب الطبيب حسان الحكيم، من الغوطة الشرقية: «لو أردنا الخروج ما بقينا إلى الآن، ولو كتب الله علينا الخروج فلن نخرج إلا مكرهين، والله يعلم أنها أحب البقاع إلى قلبي بعد مكة والمدينة».

في الحملة الأخيرة لنظام «الأسد» على الغوطة الشرقية، التي بدأت في أواخر ديسمبر ٢٠١٧م، انتشرت آلاف الصور عن «هولوكوست الغوطة الشرقية»، وتعطلت منذ بدء الحملة كافة الخدمات المقدمة من المجالس المحلية، وانقطع أطفال المدينة عن مقاعد الدراسة، وتجاوز عدد القتلى من المدنيين ٦٠٠ شهيد، وأكثر من ٤٠٠٠ جريح، بحسب إحصائيات غير رسمية (نظراً لصعوبة الإحصاء).

يحمّل المدنيون في الغوطة الشرقية الأمم المتحدة مسؤولية إمعان نظام «الأسد» وروسيا في قتلهم، وعبّر الفنان أكرم أبو الفوز، من مدينة دوما، بعمل فني أنجزه ضمن أحد أقبية مدينة دوما عن رسالة المدنيين، حيث رسم على مؤخرة قذيفة فارغة شعار الأمم المتحدة، وكتب «خذلانكم يقتلنا أكثر من أي سلاح.. تصريحاتكم لن تنقذ أطفال الغوطة».■

شهر على عملية «غصن الزيتون» بعفرين

الأسباب.. الأهداف.. التحديات.. السيناريوهات

في العشرين من يناير الماضي، أعلنت تركيا عن إطلاقها لعملية أسمتها «غصن الزيتون» في عفرين شمال غرب سورية، لمواجهة حزب الاتحاد الديمقراطي (PYD)، وذراعه العسكرية وحدات حماية الشعب (YPG).

وإلى حد بعيد، يمكن اعتبار العملية مرحلة ثانية أو لاحقة على عملية «درع الفرات» التي نفذتها تركيا بين أغسطس ٢٠١٦ ومارس ٢٠١٧م في مواجهة «تنظيم الدولة» (داعش) والمنظمات الانفصالية الكردية في الشمال السوري.

د. سعيد الحاج

حكومات العدالة والتنمية المتلاحقة تبنت سياسة متدرجة فيما يتعلق بالحقوق السياسية والاجتماعية والثقافية لأكراد تركيا

الأسباب والأهداف:

ثمة مسألة كردية في تركيا منذ تأسيس الجمهورية في عام ١٩٢٣م ترتبط بشكل أو بآخر بالمسألة الكردية في المنطقة على امتداد ثلاث دول أخرى، هي سورية والعراق وإيران، وقد تبنت حكومات حزب العدالة والتنمية المتلاحقة منذ عام ٢٠٠٢م سياسة متدرجة في حلحلتها، بما يتعلق بالحقوق السياسية والاجتماعية والثقافية لأكراد تركيا مقابل تخلي حزب العمال الكردستاني عن حربه ضد الدولة، وعن فكرة الانفصال عنها، وعن سلاحه، وقد مضت الإصلاحات في طريقها المرجو، وصولاً لمرحلة التفاوض المباشر مع الحزب وزعيمه السجين في تركيا منذ عام ١٩٩٩م «عبدالله أوجلان»، إلا أن تطورات الأزمة السورية قلبت الطاولة على أنقرة.

شعرت الفصائل الكردية السورية بفرصة تاريخية لإقامة كيان سياسي لها تحلم به منذ قرن مضى، وعلى وقع ذلك تراجع العمال الكردستاني عن الهدنة مع أنقرة، واستأنف عملياته العسكرية في يوليو ٢٠١٥م، ومنذ ذلك الحين تعمل تركيا على محاولة منع تأسيس دويلة أو ممر يحكمه حزب الاتحاد الديمقراطي (الامتداد السوري للعمال الكردستاني) على حدودها الجنوبية، وتبدو تلك أولوياتها الكبرى في سورية.

مع عملية «درع الفرات»، منعت أنقرة التواصل الجغرافي بين «الكانتونات» التي يسيطر عليها الحزب في الشرق (الجزيرة وعين العرب) والغرب (عفرين)، لكن ذلك لم يمنع استمرار المشروع والدعم الأمريكي له، الأمر الذي تطلب تدخلاً ثانياً من تركيا، خصوصاً بعد إعلان التحالف الدولي لمحاربة «داعش» عن نيته إنشاء قوة حرس حدود قوامها ٣٠ ألف مقاتل معظمها من المقاتلين الأكراد.

تشكل عفرين خزاناً بشرياً للعمال الكردستاني وعملياته ضد تركيا، كما أن قربها من الحدود يساهم في تهريب المقاتلين والسلاح نحوها، إضافة لكونها الجزء الأقرب من البحر المتوسط الذي يحلم الحزب بالوصول إليه، وانطلاق بعض المقاتلين منها عبر المتوسط إلى الداخل التركي، فاتخذ صانع القرار التركي قراره أخيراً بإيقاف كل ذلك.

أعلنت تركيا عن هدف العملية الأكبر، وهو إنهاء سيطرة وحدات الحماية على عفرين وإخراجها من هناك تماماً، وقد وضعت ذلك في سياق الحفاظ على وحدة الأراضي السورية

(منع «الفدرلة») ومواجهة خطر «الإرهـــاب» وتـحـريـر مـواطـني المنطقة من قبضتهم، وكان ذلك أحد مسوغات إطلاق اسم «غصن الزيتون» على العملية، إضـافـة لاشـتـهـار المـنـطـقـة بأشجار الزيتون.

بيد أن الأيام اللاحقة على بدء العملية تضمنت تصريحات أوحت بـأهـداف أخـرى، فرعية أو مرحلية أو إضافية، تريدها أنقرة؛ مثل إنشاء حزام آمن على الحدود السورية - التركية في منطقة عفرين بعمق ٢٠ - ٣٠ كلم، وفـق مـا ورد عـلـى لسان رئيس الوزراء «بن علي يلدريم»، ويمكن إضافة هدف ثالث ورد في تصريحات الرئيس التركي «رجب طيب أردوغان»، وهو تهيئة الأرضية والأرض، بعد خروج أو إخراج وحدات الحماية، لعودة جزء مهم من اللاجئين السوريين على الأراضي التركية.

التحديات:

ثمة تحديات تواجه أي عمل عسكري تنفذه أي دولة خارج حدودها، يتعلق في المقام الأول بـمـدى مشـروعـيـة ذلـك العمل وتسويغه دولياً، ولذلك وضعت تركيا عملية «غصن الزيتون» تحت بـاب الـدفـاع عـن النفس المـنـصـوص عـلـيـه فـي المـادة (٥١) من ميثاق الأمم المتحدة، إضافة لـقـرارات مجلس الأمن الـتـي تحمل الأرقـام (١٦٢٤) لـعـام ٢٠٠٥، و(٢١٧٠) لعام ٢٠١٤، و(٢١٧٨) لعام ٢٠١٤م المتعلقة بمكافحة الإرهـاب، وهـي تقريباً نفس المسوغات التي قدمتها تركيا في عملية «درع الفرات» سابقاً لبناء شبكة أمان سياسية وقانونية لعمليتها العسكرية خـارج الـحـدود، لكن عملية «غـصـن الـزيـتـون» تبدو مختلفة نـوعـاً مـا، الأمـر الـذي تطلب إجراءات إضافية لحماية العملية وتسويغها.

فمن ذلـك تحصين الجبهة الـداخـلـيـة خـلـف الـعـمـلـيـة، إن كـان على المستوى الشعبي أو النخبوي/ المدني أو الحزبي، خصوصاً أحزاب المعارضة التي حـرص رئيس الـوزراء «بـن علي يلدريم» على لقائها ووضعها في صورة التطورات وضمان دعمها للعملية منذ الـيـوم الأول لبدء التحرك العسكري.

ومـــن الإجـــــراءات الـتـي حـرصـت عليها أنـقـرة ضماناً لسير العملية وفـق المخطط لها الاتـصـالات المستمرة التي تجريها القيادة التركية مع الدول المؤثرة والأطراف ذات العلاقة، خصوصاً روسيا التي يبدو أن التفاهم معها سبق بدء العملية، حيث سحبت شرطتها العسكرية من عفرين ولم تعارض استخدام المـقـاتـلات الـتـركـيـة الأجـواء السورية التي تسيطر عليها، كما أن تركيا حرصت على مشاركة مجموعات من الجيش السوري الحر في العملية كقوة محلية تساهم في مشروعيتها وتنفي فكرة الاحتلال والاعـتـداء على الأراضـي الـسـوريـة، فضلاً عن تـأكـيـدهـا المـتـكـرر عـلـى عـدم طمعها في الأرض وعـدم نيتها البقاء فيها بعد دحـر وحـدات الحماية.

الـتـحـديـات المـاثـلـة أمـام عملية «غصن الزيتون» تختلف عن مثيلاتها في «درع الفرات» بما يلي:

أولاً: مواجهتها في المقام الأول لـوحـدات حماية الشعب وليس «داعـش»، وهـي الـتـي لا تتفق معظم الأطراف، خصوصاً واشنطن وموسكو، مع أنقرة على تصنيفها في قوائم الإرهاب.

ثانياً: التضاريس الجبلية في عفرين التي تصعّب المهمة على المقاتلات والفرق المدرعة على حد سـواء، إضافة لأجواء الطقس غير المناسبة لا سيما في بدايات العملية.

ثالثاً: أعداد وتسليح مقاتلي وحدات الحماية، في ظل تقارير عن تسلمهم أسلحة نوعية مثل مـضـادات الـطـيـران ومـضـادات الـدروع، وهـي -الأخـيـرة- التي استخدموها ضد دبابة تركية في الأسبوع الثالث للعملية.

رابعاً: المواقف الدولية غير المساندة لأنقرة في عمليتها، وفـي مـقـدمـة تـلـك المـواقـف الـنـظـام الـسـوري وفـرنـسـا والـولايـات المـتـحـدة، إضـافـة لغموض الموقف الإيراني الذي تحول لاحقاً لرفض صريح على لسان الرئيس «حسن روحاني»، فضلاً عن عدم صراحة الموقف الروسي في تأييدها.

سيناريوهات المستقبل:

بـعـد شـهـر مـن إطـلاقـهـا، وبالنظر لكل ما سبق، وبالوضع بـعـيـن الاعـتـبـار دوافـع تركيا

الفصائل الكردية السورية شعرت بفرصة تاريخية لإقامة كيان سياسي لها تحلم به منذ قرن مضى

تركيا وضعت «غصن الزيتون» تحت باب الدفاع عن النفس المنصوص عليه بالمادة (٥١) من ميثاق الأمم المتحدة

تركيا حرصت على مشاركة مجموعات من الجيش السوري الحر في العملية كقوة محلية تساهم في مشروعيتها

وطبيعة العملية ومواقف مختلف الأطراف، يمكننا رصد أربعة سيناريوهات رئيسة محتملة لعملية «غصن الزيتون»:

الأول: عملية واسعة لسيطرة تركية شاملة على كامل منطقة عفرين، بما يشمل مركز المدينة والمناطق الآهلة بالسكان واستسلام وحدات الحماية وخروجها من عفرين، وهو السيناريو الذي تفضله أنقرة بالتأكيد، لكنه الأصعب والأطول زمناً والأعلى كلفة عسكرياً واقتصادياً وبشرياً.

الثاني: عملية محدودة تكتفي بتأمين الحدود وحصار مسلحي وحدات الحماية في قلب مدينة عفرين وإنشاء منطقة آمنة بعمق ٢٠ - ٣٠ كلم من الحدود التركية، وهو سيناريو يحقق الحد الأدنى من الأهداف التركية مع تجنب حالة استنزاف طويلة الأمد وخسائر كبيرة في صفوف الجنود والمسلحين والمدنيين، وقد تكون حالة مؤقتة يمكن البناء عليها لاحقاً.

الثالث: استدراج تركيا لحرب استنزاف مستدامة في عفرين دون القدرة على القضاء على مسلحي وحدات الحماية، وزيادة الضغوط الدولية عليها مع الضحايا المدنيين المحتملين في المناطق كثيفة السكان، وهو ما يبدو أن الوحدات قد بنت إستراتيجيتها عليه.

الرابع: إبرام الوحدات صفقة مع النظام في دمشق لتسلم عفرين وتجنب المواجهة الشاملة مع تركيا، وهو احتمال يبقى قائماً في ظل تعارض المصالح بين مختلف الأطراف في عفرين، فرغم تفهم روسيا لدوافع تركيا وعدم عمل إيران علناً على إفشالها، فإن الطرفين -ومعهما النظام- غير معنيّين بنصر تركي ناجز في عفرين، ولا يريان مصلحة لهما في سيطرة أنقرة ومجموعات الجيش الحر على المنطقة، كما أن الوحدات لو خيرت بين تركيا والنظام لاختارت الأخير، وهي المتهمة دائماً بالتنسيق معه وعدم مواجهته منذ بدء الثورة في عام ٢٠١١م.

بالنسبة لأنقرة، فإنها قد تقبل نظرياً سيطرة النظام على عفرين إذا كان ذلك على أساس إنهاء سيطرة الوحدات وضمان أمن الحدود والأراضي التركية، لكنها سترفض وتقاوم أي دخول لقوات النظام أو أي مجموعات موالية له إن كان لدعم الوحدات ضد قواتها، كما حصل في نهاية الشهر الأول من العملية، فقد صدرت أنباء من مصادر كردية حول اتفاق لدخول قوات موالية للنظام إلى عفرين «للمساعدة في رد العدوان التركي»، الأمر الذي استدعى تحذيراً تركياً مدفعياً للرتل المتوجه من حلب إلى عفرين وإجباره على العودة أدراجه، فضلاً عن جهد دبلوماسي تركي مع موسكو وطهران للتأكيد على رفض دخول أي قوات يمكن أن تعقّد العملية وتزيد من تحدياتها بالوقوف إلى جانب الوحدات.

في الختام، إذا ما قدر لعملية «غصن الزيتون» أن تستمر وفق ما هو مخطط لها، فإنها ما زالت في البدايات التمهيدية لها، وما زالت الفصول الأهم قادمة، لكن ذلك لا ينفي أبداً إمكانية حصول متغيرات مهمة تؤثر في مسار العملية ومصيرها، وفي مقدمة ذلك مواقف بعض الأطراف الفاعلة -خصوصاً روسيا وبدرجة أقل إيران- وسيناريو الصفقة الذي سيبقى احتمالاً قائماً رغم كل شيء.■

بعد حوالي عام على تشكيل الحكومة المغربية، تمكنت الأحزاب الستة المكونة لها من توقيع «ميثاق الأغلبية الحكومية»، واعتبر بمثابة «صلح الرباط» الذي يحمي هذه الحكومة في ظروف صعبة من التفكك ومن خطر السقوط. وتواجه الحكومة انتقادين أساسيين؛ أولهما: التقليل من أهمية وجود سعد الدين العثماني عن حزب العدالة والتنمية على رأسها، حيث يومئ المعارضون أنها تسير برأسين، وأن رئيس حزب آخر مكون لها، ويعنون بذلك عزيز أخنوش، قائد حزب التجمع الوطني للأحرار، هو من يسيطر على دواليبها ويسيّرها كما يريد، وهو ما جعل العثماني نفسه يرد بلغة واضحة: «هناك رئيس حكومة واحد، هو الذي عيَّنه جلالة الملك».

الرباط: عبدالغني بلوط

الانتقاد الثاني، يرتبط بالأول؛ وهو التأخر في توقيع هذا الميثاق؛ ما دفع إلى الاعتقاد بعدم انسجام الحكومة، جسدته تصريحات متعددة لوسائل الإعلام وللمعارضة.

وفي هذا الصدد، قال عادل بن حمزة، البرلماني عن حزب الاستقلال المعارض: إن توقيع الميثاق، حسب أعراف وتقاليد الديمقراطيات العتيقة، يجب أن يكون في بداية تشكيل الحكومة، وليس بعد مرور سنة، بما يعني أنه طيلة هذه المدة لم يكن هناك إطار يربط أحزاب الحكومة وينظم عملها المشترك، ولم تكن هناك قواعد للعمل المشترك، لكنه عاد للقول: إن ثقافة ميثاق الأغلبية حديثة في المغرب، حداثة الرهان على تحالفات حزبية حقيقية لقيادة السلطة التنفيذية، وهو ما أصبح ممكناً مع دستور عام ٢٠١١م الذي عزز موقع رئيس الحكومة مقارنة مع الدساتير السابقة.

وحاول رؤساء أحزاب الأغلبية المكونة من أحزاب العدالة والتنمية، والتجمع الوطني للأحرار، والحركة الشعبية، والاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، والاتحاد الدستوري، والتقدم والاشتراكية، أن يظهروا تماسك مكونات الحكومة بعد التوقيع على الميثاق، وأن الأمور تسير بشكل عادي.

وبالرغم من ذلك، فإن الميثاق جاء لتدبير الأزمة بين الأحزاب المكونة للأغلبية الحكومية، حسب مراقبين، وقد ظهر هذا الأمر في مضامين الميثاق نفسه، الذي حرصت هذه الأحزاب أن يتضمن عبارة «عدم الإساءة»، إذ جاء فيها: «تعزيز التضامن بينها، وإرساء التشاور والتعاون والتنسيق الدائم من خلال تنظيم وتسيير وتقييم عملها المشترك، واحترام التزامات

المغرب: «ميثاق الأغلبية».. هل يحمي الحكومة من التفكك؟

الأغلبية والانضباط لقراراتها والحرص على تماسكها وعدم الإساءة للأحزاب المكونة لها، دون أن يمنع ذلك من الحق في النقد البنّاء، وفي جميع الحالات تعمل الأحزاب المكونة للأغلبية على حل خلافاتها من داخل آليات الميثاق».

لكن المسارعة إلى توقيع هذا الميثاق كانت بسبب تصريحات عبدالإله بن كيران، الأمين العام السابق لحزب العدالة والتنمية رئيس الحكومة السابق، الذي كان يفترض أن يقود الحكومة الحالية ووضعت في طريقه عراقيل انتهت به خارج رئاسة الحكومة، حيث هاجم في مهرجان خطابي عدداً من رؤساء الأحزاب الأخرى بقوة، وخاصة عزيز أخنوش، الذي يعتبر من أثرياء البلد، ويروج لنفسه أنه سيصبح لا محالة رئيس الحكومة المقبل، حيث قال ابن كيران في إشارة واضحة إليه: «إن زواج المال والسلطة خطر على الدولة».

كما هاجم ابن كيران رئيس حزب الاتحاد الاشتراكي إدريس لشكر، وهو الحزب الذي «خطف» رئاسة البرلمان، بالرغم من أنه حصل على نتائج كارثية في الانتخابات التشريعية، وبالكاد استطاع تكوين فريق برلماني، وكان من تداعيات هذه التصريحات ما عبرت عنه بعض أحزاب الأغلبية عن عدم تماسك الحكومة وإمكانية تفكك عقدها في أي لحظة.

وفي هذا الصدد، قال إدريس لكريني، أستاذ العلوم السياسية: إن الميثاق جاء في وقت ظهرت فيه هشاشة البناء الحكومي في أعقاب تلك التصريحات التي أثارت جدلاً كبيراً في الأوساط السياسية، رغم حرص العثماني على تدبير الخلافات الحكومية بقدر من التروي والدبلوماسية.

فيما قال المحلل السياسي ميلود بلقاضي: إن توقيع ميثاق الأغلبية الذي وقع بعد سنة من التأجيلات، جاء للرد على كلمة ابن كيران، التي هاجم فيها أخنوش وحزبه، ولشكر وحزبه، بكيفية قاسية أمام شبيبة العدالة والتنمية، حيث كانت هذه الكلمة حاسمة في إخراج هذا الميثاق.

وسار الميثاق في اتجاه الخروج من لغة الأزمة، حيث شدد على صبغته التعاقدية ومرجعيته السياسية والأخلاقية لتأطير العمل المشترك على أساس برنامج حكومي واضح، وأولويات محددة للقضايا الداخلية والخارجية، بما يستجيب بطريقة فعالة وناجعة لانتظارات المواطنين، ما يقتضي من مكونات أحزاب الأغلبية في الحكومة وفي مجلسي البرلمان العمل على حسن تنفيذ هذا الميثاق واحترام مقتضياته، كل من موقعه.

وأبرز لكريني أن الميثاق يتضمن مجموعة من المبادئ التي يفترض أن تحكم أداء الأغلبية الحكومية على مستوى نهج التشاركية والنجاعة والشفافية والتضامن والتواصل مع مختلف الشركاء، غير أن الأمر لا يشكل حائلاً قوياً وكافياً لمنع أي تصدع أو ارتباك في الأداء.

وحول إذا ما كان الميثاق هدفاً أو وسيلة، أجمع عدد من المراقبين أن المواطن المغربي لا يهمه كثيراً هذا الميثاق بقدر ما ينتظر أن تحقق الحكومة إنجازات في صالحه، أبرز البرلماني عادل بن حمزة أن هذا الميثاق الذي اعتبرته الحكومة إنجازاً يجب ألا ينسيها التزاماتها في الإجابة عن انتظارات المواطنين في الاقتصاد والسلم الاجتماعي ونزع فتيل التوترات الاجتماعية.

وفي السياق ذاته، أكد لكريني أن الميثاق ليس هدفاً في حد ذاته، وإنما وسيلة لبلورة سياسة حزبية مسؤولة تقف على المسؤوليات التي يقتضيها الانتماء إلى التحالف الحكومي بعيداً عن أي حسابات أخرى.■

رئيس دائرة شؤون اللاجئين في حركة «حماس» د. عصام عدوان:

اللاجئون الفلسطينيون سيتحولون لقنابل تنفجر في وجه الاحتلال وواشنطن

قال رئيس دائرة اللاجئين الفلسطينيين في حركة المقاومة الإسلامية (حماس) د. عصام عدوان: إن الشعب الفلسطيني لن يسمح للكيان «الإسرائيلي» وواشنطن بتمرير مخطط تصفية «وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين» (الأونروا)؛ لأن تصفيتها هي تصفية لحق العودة، وكشف د. عدوان، في الحوار الذي أجرته معه «المجتمع»، أن «الأونروا» تحتاج بشكل عاجل إلى ربع مليار دولار لمواصلة تقديم خدماتها للاجئين الفلسطينيين، متوقعاً تفاقم الأزمة خلال الأشهر القادمة مع نفاد الموازنة المخصصة للخدمات.

ووجه عدوان شكره لدولة الكويت على دعمها المتواصل للقضية الفلسطينية خاصة قضية اللاجئين، داعياً الدول العربية لمساندة «الأونروا» في محنتها الحالية.

غزة: مها العواودة

لن نسمح بتصفية «الأونروا».. وثورة الجياع قادمة في المخيمات الفلسطينية

التقليصات الأمريكية لـ«الأونروا» ستتسبب في إغلاق ٧٠ مدرسة

● من المعروف أن الكويت من الدول التي لها إسهامات وبصمات واضحة في المساعدات المقدمة للاجئين الفلسطينيين، حدثنا عن هذا الدور.

– الكويت لها باع طويل في خدمة القضية الفلسطينية، وتساندها مالياً ومعنوياً، ولها بصمات واضحة في كافة المجالات، وعززت من صمود اللاجئين الفلسطينيين، وهي ملتزمة بدفع مستحقاتها تجاه «الأونروا»، ونأمل أن تواصل عملها المعهود بالعمل مع الأسرة الدولية لإسقاط كل المحاولات التي تستهدف اللاجئين الفلسطينيين، وعلى الدول العربية أن تلتزم بتقديم ما عليها من مترتبات مالية سنوية لـ«الأونروا» حتى تستطيع أن تتجاوز أزمتها المالية.

● كم تبلغ الموازنة التشغيلية السنوية لـ«الأونروا»؟

– ميزانية «الأونروا» ما بين ميزانية أساسية ومشاريع، وموازنة طارئة تبلغ نحو مليار و٢٠٠ مليون دولار، منها موازنة طوارئ تبلغ ٤٠٠ مليون دولار تخصصها للأزمات، ونحو ٨٠٠ مليون دولار مخصصة كموازنة تشغيلية لها، وعجز موازنة «الأونروا» التي أعلنت في وقت سابق العام الماضي قبل قرار واشنطن وقف نصف مساهمتها المالية، التي تقدر بنحو ٦٥ مليون دولار حوالي ١٤٠ مليون دولار، وهي بحاجة عاجلة لربع مليار دولار من أجل القيام بمهامها، وعمليات التقليص الأمريكية سيكون لها انعكاسات على توقف العديد من القطاعات الحياتية التي توفرها المنظمة للاجئين الفلسطينيين.

● كيف تبدو أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في سورية؟

– في سورية قلصت «الأونروا» المساعدات الأساسية المقدمة للاجئين الفلسطينيين من خلال تقديمها عبر المساعدات الطارئة، وليس عبر الموازنة الأساسية، وهذه ليست بشارة خير على كل حال؛ لأن قضيتهم باتت طارئة يمكن أن تنتهي في أي لحظة، وهذا معناه تصفية حقوقهم، هناك بحسب سجلات «الأونروا» نحو ٥٦٠ ألف لاجئ فلسطيني في سورية يعيشون أوضاعاً مأساوية، لجأ الآلاف منهم لدول الجوار هرباً من الموت بسبب أوضاع الحرب في سورية، مع العلم أن نحو ألف

الكويت عززت من صمود اللاجئين الفلسطينيين وهي ملتزمة بدفع مستحقاتها تجاه «الأونروا»

١٤. مليون دولار عجز في ميزانية «الأونروا» قبل أن تعلن أمريكا تخفيض نصف مساهماتها (٦٥ مليوناً)

من اللاجئين الفلسطينيين الذين كانوا يقيمون في سورية وصلوا غزة، ولم تقدم لهم «الأونروا» المساعدات اللازمة، رغم أنها مطالبة بتقديم المساعدة للاجئ أينما تواجد في العالم.

● الكيان الصهيوني يروج لاستبدال «الأونروا» بالمفوضية العليا للاجئين، ما خطورة ذلك وهدفه؟

– استخدام مصطلح المفوضية العليا للاجئين من قبل رئيس الوزراء الصهيوني «بنيامين نتنياهو» خطير للغاية، وهناك ثلاثة احتمالات في هذا الموضوع:

أولاً إعادتهم للدولة التي خرجوا منها أصلاً، وهذا لن تقبل به دولة الكيان.

والاحتمال الثاني هو توطينهم في البلد الذي تم اللجوء إليه.

والاحتمال الثالث البحث لهم عن مكان يقبلهم ويتم نقلهم إليه وهو الاحتمال الأرجح في التطبيق، ولكن لن يتم قبوله دولياً.

● لماذا تصر واشنطن والاحتلال على تصفية قضية اللاجئين الفلسطينيين؟

– قضية اللاجئين تمثل قلب القضية الفلسطينية، وهي تعد أصعب قضية تواجه ملفات التفاوض الفلسطينية «الإسرائيلية»، أو ما تعرف بقضايا الوضع النهائي، لذلك ركز الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب» على قضيتين؛ هما قضية القدس، وقضية اللاجئين، وقال: إن قضية القدس أزيلت من طاولة المفاوضات، وتم حسمها لصالح دولة الاحتلال، وقلص المساعدات المقدمة للاجئين باعتبار القدس واللاجئين هما أساس القضية الفلسطينية، ولكن رد الفعل الفلسطيني والعربي والإسلامي على قرار «ترمب» عزز من مكانة قضية القدس واللاجئين على الساحة الدولية، وأثبت استحالة أن يفرط الشعب الفلسطيني في حقوقه المتعلقة بحق العودة، وأن حق العودة هو حق مقدس.

● كيف تتوقع رد الفعل الفلسطيني على أي مساس بـ«الأونروا» وحق العودة؟

– الشعب الفلسطيني لن يصمت على هذا المخطط الخطير بتصفية حق العودة، وسيترجم ذلك بمسيرات «نداء العودة» التي ستنظم رفضاً لتقليصات «الأونروا»، والكل الفلسطيني يدرك خطورة المخططات التي تحاك ضد اللاجئين الفلسطينيين، وتقليصات «الأونروا» ستفجر المنطقة من خلال إغلاق نحو ٧٠٠ مدرسة تمولها، وإذا أغلقت هذه المدارس بسبب العجز المالي الذي تسببت به واشنطن، أين سيكون مصيرهم؟ وبالتأكيد سيتحولون لقنابل موقوتة في كل أماكن تواجدهم تنفجر في وجه الاحتلال وواشنطن.

● «الأونروا» أطلقت نداء استغاثة لجمع تبرعات عاجلة من أجل ضمان استمرار خدماتها، هل تتوقعون أن تنجح في جمع هذه التبرعات من الدول العربية والمانحة؟

– نتوقع نجاح نداء الاستغاثة الذي أطلقته «الأونروا» بعنوان «الكرامة لا تقدر بثمن» في جمع التبرعات التي تريدها التي تقدر بـ٨٠٠ مليون دولار، وهذا سيمنحها طوق النجاة بعد ما تركته عمليات التقليص الأمريكية من قلق على مستقبل عملها وخدماتها المقدمة للاجئين، وذلك لأن المساعدات الأمريكية تقدر سنوياً بنحو ٣٠٠ مليون دولار.

● يقال: إن اللاجئين في قطاع غزة سيدفعون فاتورة التقليصات الأمريكية، ما انعكاسات ذلك عليهم؟ وكيف سيؤثر على الحصص الغذائية؟

– التقليصات التي تعتزم «الأونروا» تنفيذها في أبريل القادم ستتسبب في كارثة خاصة للاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة، خاصة أن أكثر من مليون لاجئ فلسطيني في القطاع يعتمدون على المساعدات والحصص الغذائية ومشاريع التشغيل التي تنفذها «الأونروا»، مع العلم أن المساعدات التي تقدم بسيطة لا تتجاوز ١٠٠ دولار كل ثلاثة أشهر لأسرة مكونة من خمسة أفراد، ولكن هذه المساعدات تساهم في التخفيف من حدة الفقر والبطالة الشديدة التي يعشها معظم اللاجئين في قطاع غزة.

الحصص الغذائية الدورية التي تقدمها «الأونروا» للاجئين الفلسطينيين هي عبارة عن مساعدات غذائية لتقدم للأسر الأشد فقراً، والأسر محدودة الدخل، يضاف إليها الخدمات الصحية والتعليمية التي تقدمها «الأونروا» مجاناً للاجئين الفلسطينيين سواء في غزة والضفة أو مخيمات الشتات.

● كم يبلغ عدد اللاجئين الفلسطينيين سواء في مخيمات اللجوء بالشتات والأرض المحتلة؟

– عدد اللاجئين الفلسطينيين حسب سجلات «الأونروا» يبلغ نحو ٥,٦ مليون لاجئ، هؤلاء من هم في سجلات «الأونروا»، لكن العدد الفعلي للاجئين الفلسطينيين الذين أخرجوا من وطنهم فلسطين وتوزعوا في العالم يبلغ نحو ١٠ ملايين لاجئ، على سبيل المثال يعيش في قطاع غزة ١,٣ مليون لاجئ، يقيم معظمهم في ٨ مخيمات للاجئين؛ هي جباليا، والنصيرات، والبريج، ورفح، وخان يونس، ودير البلح، والشاطئ، ومخيم المغازي، وفي لبنان يوجد نحو ٤٨٥ ألف لاجئ، وفي سورية ٥٦٠ ألف لاجئ، وفي الأردن يوجد العدد الأكبر من اللاجئين الفلسطينيين.■

٥٦. ألف لاجئ فلسطيني بسورية يعيشون أوضاعاً مأساوية لجأ الآلاف منهم لدول الجوار هرباً من الموت

أكثر من مليون لاجئ فلسطيني في غزة يعتمدون على مساعدات «الأونروا» رغم قلتها

استقالة رئيس وزراء إثيوبيا.. وتداعياتها على قومية «الأورومو» المسلمة

تطورات متلاحقة تشهدها الساحة السياسية في إثيوبيا، آخرها إعلان حالة الطوارئ في البلاد لثلاثة أشهر ثم تمديدها لستة أشهر، بعد يوم واحد من استقالة رئيس الوزراء والأمين العام للائتلاف الحاكم «هايلي مريام ديسالين»، منتصف فبراير الماضي، التي قد تكون انعكاساً لوصول الأزمة في هذا البلد متعدد الإثنيات إلى مستوى غير مسبوق، وهو ما يشير إلى أن الأيام القادمة قد تكون حبلى بتطورات جديدة يطول معها غياب الاستقرار.. فما دلالات الاستقالة؟ وهل هي حالة انحناء اضطرارية أمام العاصفة، أم مجرد عملية تدوير من داخل النظام يفير فيها جلده فقط لعبور الأزمة؟

محمد سرحان

الأزمة تطورت رفضاً لمخطط حكومي بتوسعة العاصمة أديس أبابا على حساب أراضي قومية «الأورومو» المسلمة

لشدة العاصفة اتبعت الحكومة سياسة تصالحية تضمنت الإفراج عن ٦ آلاف معتقل سياسي وإغلاق بعض السجون

متوقع قبول البرلمان استقالة «ديسالين» وترشيح الائتلاف الحاكم شخصية جديدة تخلفه

في بيان استقالته، قال «ديسالين»: إنه اتخذ قراره بالتنحي على أمل أن يساعد في إنهاء سنوات الاضطرابات والقلاقل السياسية، وأن يكون من شأن هذه الاستقالة تنفيذ إصلاحات تؤدي إلى سلام وديمقراطية دائمين، مطالباً الإثيوبيين بالحفاظ على استمرار الديمقراطية والتمسك بالوحدة.

المكتب التنفيذي للحزب الحاكم، بدوره، عقد اجتماعاً، وأعلن قبول استقالة «ديسالين»، لكنه أعلن أنه سيبقى في منصبه رغم الاستقالة لتصريف أمور الحكومة، حتى قبول هذه الاستقالة من قبل البرلمان المكون من ٥٤٧ نائباً أغلبهم من الائتلاف الحاكم.

جذور الأزمة

الأزمة في إثيوبيا خرجت للعلن في أواخر عام ٢٠١٥ عندما خرجت مظاهرات في إقليم قومية «الأورومو» (أكبر القوميات وغالبيتها من المسلمين)، رفضاً لمخطط حكومي لتوسعة العاصمة أديس أبابا، كان يتضمن سحب مساحات من أراضيهم الزراعية –حوالي ١٢٠ كيلومتراً مربعاً– منهم وإدخالها في إطار الاستثمار، ضمن خطة تطوير وتوسعة العاصمة، الأمر الذي رآه الأورومو تقليصاً لنفوذهم الاقتصادي، ومحاولة من «التيجراي» لابتلاع مدنهم وبلداتهم لصالح جماعات عرقية أخرى، إلى جانب عوامل متعلقة بالهوية.

لاحقاً امتددت الاحتجاجات إلى مناطق نفوذ «الأمهرة» (ثاني أكبر القوميات)، شمالي البلاد، احتجاجاً ضد سياسات التهميش، وكذا نقل تبعية أراضٍ زراعية منهم بمحيط بلدة ولقايتي الأمهرية إلى ولاية التيجراي المجاورة، واتسعت رقعة الاحتجاجات التي اتخذت طابعاً إثنياً وموجهة ضد «التيجراي» (من ٦ – ١٠٪ من السكان) المتنفذة في نظام الحكم، لكن الحكومة قابلت هذه الاحتجاجات بالقوة الغاشمة؛ سقط على إثرها المئات واعتقل الآلاف، وتم إخماد هذه الاحتجاجات، التي سرعان ما عادت مجدداً في عام ٢٠١٦م، ما اضطر الحكومة إلى إعلان حالة الطوارئ في أكتوبر ٢٠١٦م ولمدة ١٠ أشهر.

لكن لم تفلح كل الوسائل التي اتخذتها الحكومة في وأد هذه الاحتجاجات بما فيها حالة الطوارئ وحتى استخدام القوة، التي أدت لانتقادات لأديس أبابا باستخدام العنف وانتهاك حقوق الإنسان، ولشدة العاصفة اتبعت الحكومة سياسة تصالحية تضمنت الإفراج عن نحو ٦ آلاف معتقل سياسي، وإغلاق بعض السجون وتحويلها إلى متاحف، إلا أن ذلك لم يفلح في إخماد الاحتجاجات.

أقلية تحكم الأغلبية

بالنظر إلى الواقع السياسي في إثيوبيا ومراحل الحكم فيها، قال محمد الدابولي، باحث في معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة، لـ«المجتمع»: النظام السياسي الإثيوبي يقوم على سيطرة الأقلية على الأغلبية، ففي عهد الإمبراطور «هيلاسلاسي» سيطرت جماعة الأمهرا التي تسكن أعالي هضبة الحبشة على كافة أرجاء إثيوبيا؛ أي كانت تتحكم في الجماعات الأخرى مثل التيجراي، والأورومو، وبعد سقوط حكم «هيلاسلاسي» في منتصف السبعينيات تولى الحكم نظام شيوعي بقيادة «منجستو»، زعيم الدرغ، وهو من الأمهرا، وكان شيوعياً عكس

«هيلاسلاسي» الذي كان ينصّب نفسه ملكاً لمملكة مسيحية، ورغم أن «منجستو» كان شيوعياً فإنه استمر في دعم جماعته الأمهرا ضد الجماعات الأخرى خاصة التيجراي، والأورومو، واتبع سياسة الاستيلاء على الأراضي من قومية الأورومو لصالح الأمهرا.

لا شك أن هذه التطورات الحاصلة في إثيوبيا سيكون لها تداعيات على المستويين الداخلي والخارجي، فمن جانبه، توقع الباحث بالشأن الأفريقي عباس محمد صالح في تصريحات لـ«المجتمع»: أن تتعمق الأزمة بشكل أكبر داخل إثيوبيا؛ لأن الانقسام داخل البلاد ازداد اتساعاً، واتخذ في طوره الحالي أبعاداً إثنية أو عرقية ومناطقية غير مسبوقة باتت تهدد وحدة وتماسك البلاد على المدى البعيد، وتجري تعبئة كبيرة داخل البلاد للدفع بالحراك السياسي نحو غاياته، وهي إعادة هيكلة السلطة في البلاد بشكل جذري تقوم على أساس الأوزان الديموجرافية؛ وهو ما يجعل الأوضاع هناك على شفا الانزلاق لسيناريو «رواندا جديدة»، لا سيما في ظل مضي السلطة الحاكمة في اتجاه مغاير لمطالب الأورومو والأمهرا ومعهم مجموعات وقوميات صغيرة أخرى، تبدو أقرب للاصطفاف ضد أقلية التيجراي المتنفذة في حكم البلاد.

سيناريوهات محتملة

في ظل انحصار حوار الجبهة الحاكمة مع بعض القوى السياسية الموالية لها، مثل حزب المنظمة الديمقراطية لشعب الأورومو، المنفصل واقعياً عن شعب الأورومو، وانقطاع خطوط الاتصال مع

• هايلي مريام ديسالين

المعارضة الحقيقية، خاصة حركة تحرير أورومو، بزعامة «أوميجتا شارو»، ومع التطورات المتلاحقة أصبحت إثيوبيا محط أنظار الكثيرين حول إلى أي من المآلات تتجه الأمور بهذا البلد لا سيما مع مكانة أديس أبابا في منطقة القرن الأفريقي.

في هذا الصدد، وفي تصريحات لـ«المجتمع»، توقع عبدالرحمن سهل، مدير مركز الصومال لتحليل الأزمات، أحد سيناريوهين؛ أولهما: مضي النظام بنفس الخط السابق في التعامل مع الأزمة، معتبراً أن إعلان حالة الطوارئ قد تكون مؤشراً على ذلك.

السيناريو الثاني: الاتجاه نحو ديمقراطية تعد شكلية بإعطاء منصب رئيس الوزراء لقومية الأورومو، وأضاف أن الائتلاف الحاكم ضحى بـ«ديسالين» من منصبه ككبش فداء حفاظاً على مكتسبات الائتلاف وتفادياً لانهياره.

من جانبه، توقع محمد الدابولي عدداً من السيناريوهات، منها: نجاح النظام في احتواء المعارضة في مناطق الأورومو عن طريق بعض التسكينات المؤقتة مثل تعيين رئيس للوزراء «مدجن» ينتمي للأورومو مع بعض الإصلاحات الشكلية والإفراج عن المعتقلين وهو ما تم بالفعل؛ وبالتالي تكون عملية الاحتواء هذه عملية تدوير للنظام وإطالة عمره.

يضيف الدابولي: هناك سيناريو آخر قد يبدو مستغرباً، وهو أن يتم «تديين» الأزمة؛ بمعنى اعتبار أن ما يحدث حالياً هو اضطهاد للمسلمين في إثيوبيا؛ ما يعني فتح بوابة كبيرة لبعض التنظيمات والجماعات بالانتقال من الصومال إلى إثيوبيا وظهور ما يمكن تسميته بالجهاد الإثيوبي، وعن منطقية هذا الطرح، يرجعه الدابولي إلى أن المنطقة خاصة في القرن الأفريقي بدأت ترزح سياسياً نحو القطب الآسيوي الصيني، بمعنى أن الصين استحوذت على العديد من العقود الاستثمارية هناك خاصة النفط؛ لذا من الممكن أن تلجأ واشنطن لمثل هذا الخيار من أجل ضمان العودة الكاملة لدول المنطقة إلى كنفها.

كما لم يستبعد الدابولي خلق أزمة داخل جماعة الأورومو ذاتها، عن طريق صنع نوع من الطبقية؛ أي أن تضطهد الجماعة ذاتها، وسيتم ذلك من خلال استقطاب بعض العناصر من الجماعة ومنحها بعض السلطات كرئاسة الوزراء، وبعض الامتيازات الاقتصادية؛ لتكوين جماعة داخل الأورومو تسيطر عليها اقتصادياً وترتبط بمصالح مصيرية مع النظام الحاكم؛ وبالتالي يتحول نضال الشعب الأورومو من نضال لإعلاء هويتهم الإثنية والقومية إلى نضال للحصول على بعض المكتسبات الاقتصادية، خاصة أن بعض الأورومو موالون للنظام الحاكم.

الملفات الخارجية

أما عن عملية انتقال السلطة أو عملية تغيير جلد النظام إن نجحت، وتداعياتها على المصالح الوطنية والملفات الخارجية وأبرزها ملف سد النهضة، فيرى د. أيمن شبانة، أستاذ العلوم السياسية بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة، في تصريحات لـ«المجتمع»، أن الثوابت المرتبطة بالمصالح الوطنية الإثيوبية ستكون المحدد الحاكم لسياسات السلطة الجديدة إزاء أزمة سد النهضة، واستبعد أن يسهم انتقال السلطة بإثيوبيا بحدوث انفراجة في المسار التفاوضي، بل إن العكس هو الصحيح في الغالب.

وتوقع شبانة أن السلطة الجديدة لا سيما في وجود اليد الطولى لحركة تحرير شعب التيجراي خاصة لو تم اختيار زعيمها «ديبرتسون جبرميتشل»، وهو ينتمي إلى نفس مدرسة «زيناوي»، ستقود الأمور نحو التصعيد مع مصر في مفاوضات سد النهضة، وفقاً لنظرية «الهروب إلى الأمام» التي تقوم على حشد التأييد الشعبي في الداخل من خلال افتعال وتصعيد الأزمات الخارجية.■

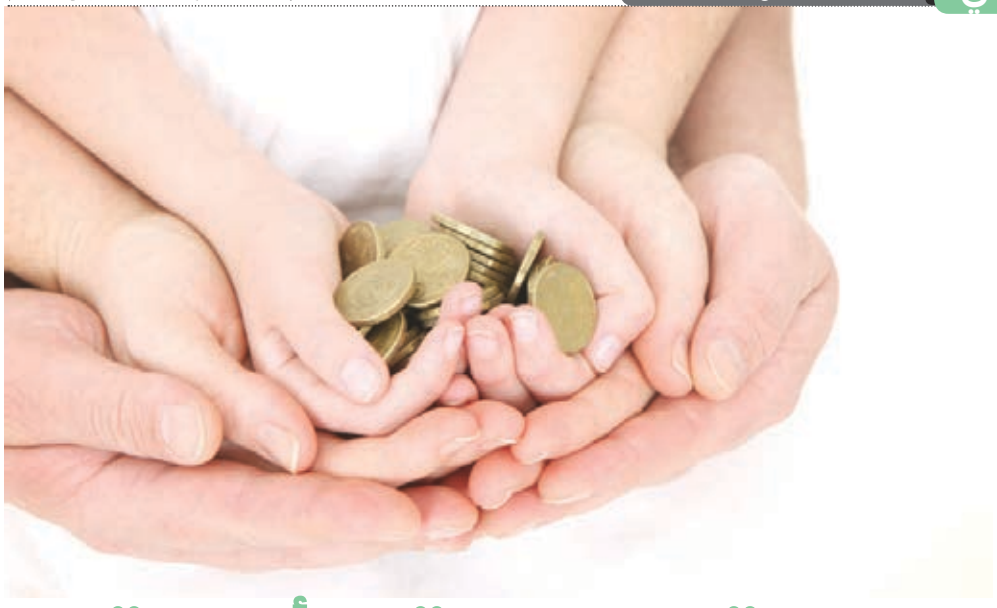

الإدارة المالية للأسرة المسلمة

بقلم: د. أشرف دوابه

تمثل الأسرة المسلمة رغم صغرها أهم المؤسسات في المجتمع، فهي في حقيقتها شركة تقوم على المودة والرحمة، وهذا الكيان المؤسسي للأسرة المسلمة يفرض وجود كيان إداري لها، ذات أهداف وخطط لإدارة ذلك الصرح الصغير.

الإدارة الاقتصادية تعمل على تحديد الأوجه اللازمة للإنفاق من حيث أهميتها وأولويتها

إذا زادت النفقات المتوقعة عن الإيرادات فيعني ذلك وجود عجز وهو ما تعاني منه غالبية الأسر

من أهم الإدارات الداخلية في تلك المؤسسة هي الإدارة المالية، والإدارة المالية للأسرة المسلمة مهمة جداً؛ إذ إن المال هو عصب الحياة، وبه تكون النفقة واستمرارية الحياة.

وينظر للإدارة المالية للأسرة المسلمة على أنها مجموعة الأنشطة الإدارية التي تتعلق بالبحث عن الأموال اللازمة وتوفيرها، والتأكد من حسن استخدامها وفقاً لأوجه الإنفاق المحددة.

فوظيفة الإدارة المالية للأسرة المسلمة يترتب عليها التخطيط لمصادر الإيرادات المتوقعة خلال فترة زمنية قادمة، كما أنها تتناول من ناحية أخرى تحديد أوجه الإنفاق لهذه الإيرادات وفقاً لما هو محدد لها، فهي لا تقوم فقط بدور البحث عن المال وإنفاقه، وإنما تعمل أيضاً على تحديد الأوجه اللازمة للإنفاق من حيث أهميتها والأولوية التي يجب أن تحتلها بين مصادر الإنفاق الأخرى.

ونظراً للظروف التي تمر بها غالبية الأسر المسلمة من كون الدخل لا يفي بتمويل ذلك الصرح لتحقيق أهدافه وطموحاته، فإن الأمر يتطلب وضع تصور لإدارة المال في الأسرة المسلمة من خلال الاعتماد على التخطيط المالي، فالوقت المبذول في التخطيط وكذلك الجهد أهون بكثير من أزمة مالية طاحنة تعصف بالأسرة، وتخيم جواً من الكآبة والحزن على جميع أفراد الأسرة، كان يمكن تلافيها ببذل بعض الوقت في التخطيط.

من أجل هذا يضع خبراء المشكلات الزوجية ميزانية الأسرة المسلمة في مقدمة الموضوعات الزوجية، لأنه إذا كانت الميزانية سليمة فسوف تسير حياة الزوجين في مسار سليم، أما إذا اضطربت الميزانية؛ فإن حياتهما سوف تضطرب، ومن المهم أن يتفاهما على كل البنود، وأن يشجع كل منهما الآخر على حسن تصرفه، وحسن تدبيره، فهذا التفاهم لصالح الأسرة في النهاية واستمراريتها، فعادة ما تبدأ المشكلات في الحياة الزوجية من نقطة الميزانية، وبعدها يمكن أن تنفجر بقية المشكلات، وربما فقدان الحب والود شيئاً فشيئاً، حتى يمكن القول: إن مشكلات الميزانية إذا دخلت من الباب؛ هرب الحب من الشباك.

إن الواقع -للأسف الشديد- يكشف عن أن معظم الأسر المسلمة لا تهتم بالتخطيط لميزانيتها، سواء بشكل يومي أو شهري أو حتى سنوي، عكس الأسر الأوروبية التي تحرص على وضع ميزانية لنفقاتها الأسبوعية والشهرية لا تتجاوزها مهما كانت الظروف، هذا في الوقت الذي يحث ديننا

على التخطيط، ويأمرنا بتطبيقه على أرض الواقع، ففي الحديث: «اعقلها وتوكل».

إن ميزانية الأسرة المسلمة تعتبر بحق من أهم الاختبارات التي تواجه الزوج والزوجة مع أول كل شهر، حيث تحتاج إلى مجهودات كبيرة ليتم ضبطها بما يغطي كافة احتياجات الأسرة سواء أكانت دائمة أو غير دائمة، وبما يضمن توفير فائض شهري يساعد الأسرة على تأمين حياتها.

ومع ارتفاع أسقف الاستهلاك، وكذلك اشتعال الأسعار، أصبحت العديد من الأسر المسلمة تعاني عجزاً مزمناً في الميزانية، وتتحمل الزوجة عبء هذا العجز باعتبارها «وزير اقتصاد الأسرة»، كما أنها تحدد بالاشتراك مع الزوج أولويات الإنفاق ونسبة الادخار الممكنة من الدخل الشهري، وكلما كانت الزوجة مقتصدة ومدبرة ولديها قدرة للتغلب على الرغبات الاستهلاكية، وبصفة خاصة الرغبات غير الضرورية؛ وصلت بأسرتها إلى بر الأمان.

وإعداد ميزانية عملية للأسرة المسلمة يتطلب من الأسرة الاجتماع لمناقشة احتياجات الأسرة خلال الفترة المقبلة، والقيام بخطوات إعداد الميزانية، وأيضاً متابعة الميزانية التي تم إعدادها من خلال مقارنة الميزانية التقديرية للأسرة المسلمة بالميزانية الفعلية، ويمر إعداد ميزانية الأسرة بعدد من الخطوات العملية، تتمثل فيما يلي:

١- تحديد إيرادات الأسرة المسلمة:

وذلك بتحديد وتسجيل جميع الإيرادات المتوقع الحصول عليها في الفترة المحددة للميزانية -ولتكن سنوية- سواء أكانت إيرادات أساسية؛ كالمرتب الشهري، وإيجارات الأملاك (أراض، مبان، وخلافه)، والحوافز الدورية، وأجر العمل الإضافي، والعائد الدوري للاستثمار، أو كانت إيرادات مساعدة لا تتصف بصفة الثبات والديمومة، مثل الحوافز غير الدورية، والمكافآت، والإعانات، وما تقدمه الزوجة لزوجها من أموالها الخاصة.

ويلاحظ أنه إذا كان رب الأسرة ذا مهنة حرة؛ طبيباً، أو محامياً، أو حرفياً، أو تاجراً، يكون تقدير الإيرادات تقريبياً، أما في حالة الراتب الثابت المنتظم كالموظف، فيكون أقرب إلى الواقع، ويحسب المجموع الكلي لهذه الدخول مع مراعاة عدم المبالغة في تقدير أي منها.

٢- تحديد نفقات الأسرة المسلمة:

وذلك برصد وتحديد وتسجيل جميع المصروفات المتوقع إنفاقها أثناء مدة الميزانية وفي مقدمتها النفقات الأساسية، مثل: الطعام والشراب وإيجار المسكن والملابس والتعليم وفواتير التليفون والكهرباء والمياه والغاز وغيرها، وأقساط المشتريات، والانتقالات والنظافة، وكذلك الطوارئ التي تنتج من ظروف طارئة كمرض وخلافه، وتعتبر مصاريف الطوارئ من المصاريف المهمة والضروري استقطاعها من الدخل، ويفضل أن تتراوح بين ٥ - ١٠٪ من الدخل، وفي حالة عدم إنفاقها توجه للادخار.

وإلى جانب تلك النفقات، يتم تحديد النفقات الكمالية التي يمكن للأسرة الاستغناء عنها، مثل: الولائم، والمجاملات، واشتراكات النوادي، وغيرها من السلع والخدمات الترفيهية.

٣- تحديد الفائض أو العجز:

وذلك من خلال مقابلة الإيرادات المتوقعة بالنفقات المتوقعة، فإذا زادت الإيرادات المتوقعة عن النفقات المتوقعة، فيعني ذلك وجود فائض، وحينئذ يمكن للأسرة المسلمة توجيه ذلك الفائض للاستثمار فيما أحل الله.

أما إذا زادت النفقات المتوقعة عن الإيرادات المتوقعة، فيعني ذلك وجود عجز، وهو ما تعاني منه غالبية الأسر المسلمة، وحينئذ يمكن للأسرة معالجة هذا العجز من خلال بديل أو أكثر من البدائل التالية:

١- محاولة زيادة بعض بنود الإيرادات إن أمكن.

٢- سحب مبالغ من المدخرات إن وجدت.

٣- تعجيل الحصول على بعض الإيرادات إن أمكن.

٤- الحصول على قرض حسن من الغير.

٥- إلغاء أو تأجيل بعض النفقات.

ويعتبر البند الأخير من أهم البنود، حيث يمكن للأسرة المسلمة الاستغناء عن الكماليات، فإن لم تف بعلاج العجز اتجهت لترشيد النفقات الأساسية.■

الوقت والجهد المبذولان في التخطيط أهون بكثير من أزمة مالية تعصف بالأسرة

ميزانية الأسرة تعتبر من أهم الاختبارات التي تواجه الزوجين مع أول كل شهر

مأثورات اقتصادية

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما صبر أهل ثلاثة على جهد إلا أتاهم الله برزق» (رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا).■

مفاهيم اقتصادية

بيع العينة

بيع العينة يعني بيع السلعة بثمن مؤجل ثم شراؤها نقداً بثمن أقل منه، وهو ذريعة إلى الربا، ووسيلة من وسائل التحايل والخديعة التي تلحق ضرراً بالغاً بالأسواق، فمحصلة هذه المعاملة في النهاية قرض ربوي، لذا حرّمها الإسلام، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة واتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله؛ أنزل الله بهم بلاء فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم» (رواه أحمد).■

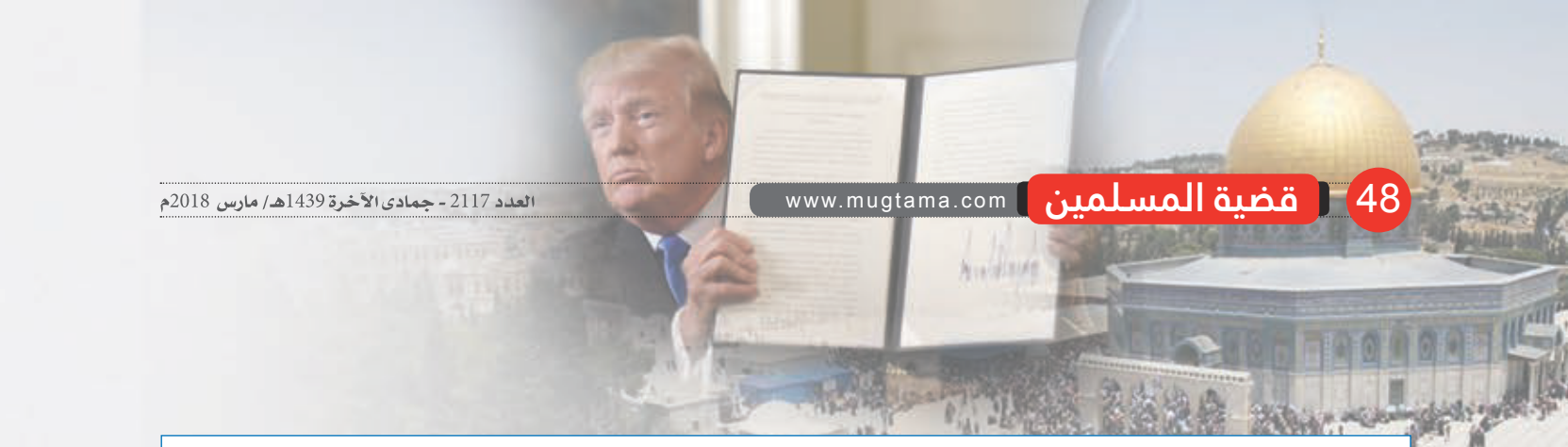

تحدثنا في المقال السابق عن أهمية المدخل السنني في فهم الأزمة الحضارية باعتباره من أهم أصول النظر الاستشرافي للمشروع الحضاري الإسلامي، وذكرنا بعض منطلقات خارطة المقاومة، نعرض في هذا المقال لمسارات العمل في هذه الخارطة؛ حيث يتمركز العمل والتشغيل في خارطة المقاومة بالأمة ودحر العدوان الصهيوني والتمكن من تحقيق التحرر والحرية والاستقلال، في عدة مسارات، هي: مسار البناء التربوي والنفسي للأمة، والمسار الاجتماعي والثقافي، والمسار النخبوي والمؤسساتي المدني، وهذه المسارات نقاط تجمع تكتمل عندها الأمة بعد أن فقدت مفهوم «الدولة الجامعة» ودورها الرشيد والفاعل.

القدس خافق الأمة ومشروعها الحضاري (٢ - ٢)

مسارات العمل في خارطة المقاومة

أ.د. حسان عبدالله
أستاذ أصول التربية المساعد
بكلية التربية النوعية - مصر

القرآن لا يمكن تجاوزه في أي حركة منبعثة بالأمة تسعى إلى استعادة وجودها

المناخ التربوي المدرسي أسهم في غرس قيم الاستسلام والخضوع التي غُذيت بها الشخصية العربية

البناء التربوي والوجداني للشخصية المُقاوِمة:

القرآن والأسرة المسلمة هما خطا البناء التربوي والوجداني الأول لمشروع «المقاومة الجديد»؛ فالنظم التعليمية العربية أثبتت بعد كل هذه العقود من تمدد الكيان الصهيوني في جسد الأمة وتغلغله في مفاهيمها ونظمها التربوية، أنها نظام غير أمين وغير جدير بالاعتماد عليه في بناء شخصية مقاومة للاحتلال الصهيوني والبديل الأنجع في ذلك، والأكثر نفعاً، فالقرآن لا يمكن تجاوزه في أي حركة منبعثة في الأمة تسعى إلى استعادة وجودها، فضلاً على أن تكون تلك الحركة حركة تحرير الأمة وتحررها، واستعادة طهارتها وتزكية أرضها ونفسها.

ولأن المشروع الصهيوني أدرك منذ البدء أن وجوده على الأرض لا يستلزم سلاحاً مادياً، لكن يستلزم فقط «المدفع والطائرة»، وتهيئة العقل العربي الإسلامي والوجدان ليقبل بهذا الوجود ويباركه، أخذت حركة التطبيع في التوسع، حيث بدأت بـ«كامب ديفيد» (١٩٧٩م)، مروراً بـ«أوسلو» (١٩٩٣م)، إلى جني الثمار وإعلان «ترمب» (ديسمبر ٢٠١٧م) بإنهاء الوجود الفلسطيني من القدس المحتلة بإعلانه القدس عاصمة الكيان الصهيوني، والاعتزام على تنفيذه في ظل ترحيب باطني عربي وعلني في بعض الأحيان، وصمت أقرب إلى المباركة لهذا الإعلان.

لقد استطاعت النظم التعليمية العربية تمييع قضية القدس والأقصى وفلسطين تحت الترويج لمفهوم السلام في مقابل توطين مفهوم «القوة» في النظام التعليمي الصهيوني، و«الصراع» و«العنف» في مواجهة العرب والمسلمين، وهو ما أنتج لدينا شخصيات لا تعتقد في فكرة المقاومة، لأنها لم تتأسس، ولم تنشأ تربوياً ووجدانياً على فكرة المقاومة وقيمتها بصورتها الشاملة والحضارية.

الحل الذي نراه هو البناء التربوي والوجداني للشخصية المسلمة من خلال التعليم المنزلي (البيوتات التربوية) بعيداً عن المناخ التربوي المدرسي النظامي الذي أسهم بشكل واضح في غرس قيم الاستسلام والخضوع التي غُذيت بها الشخصية العربية خاصة خلال الثلث الأخير من القرن العشرين وحتى العقد الثاني من القرن الحالي، ينبغي أن يحل القرآن مركزاً في هذا النظام التعليمي المنزلي، ومحوراً لبناء مفاهيم المقاومة، وذلك من خلال أن يشغل القرآن مساحة رئيسة في حياة الطفل، وأن تقرب له مفاهيم وقيم: الحرية والتحرر، والكرامة والقداسة، والحرام، والولاء والبراء، والعداوة والصداقة، والشهادة، والجهاد، ورمزيات المكان

المجتمع المتحلل من صور التماسك وقيم التواصل لا يستطيع أن يقوم لله جماعة ولا أفراداً

مشروع المقاومة هو الأساس الروحي الذي يمكن أن يستعيد المجتمع المسلم شبكة علاقاته الاجتماعية عليه حالياً

والزمان في القرآن للمسلم، ومكانتهما في بناء الهوية في ضوء المتغيرات الراهنة وفي ضوء مركزية مشروع المقاومة الراهن.

إن التربويين –في الأمة– مدعوون اليوم أكثر من أي وقت مضى لأن يؤصلوا لهذا النوع من التعليم (التنشئة القرآنية المنزلية لمشروع المقاومة الراهن)، وطرح كليات وقواعد يمكن البناء عليها لمشروع قرآني للمقاومة من خلال التنشئة الأسرية، التي هي مفصل رئيس في التنشئة الحيوية للأمة، التي تدور عليها باقي المفاصل، بل يجب أن تقوم التنشئة الأسرية بدور المصفاة لما يقدم للنشء المسلم في الدوائر الأخرى التي خانت قضاياه في الإعلام والجامعة وغيرهما.

إن التنشئة الأسرية –ذلك المفصل الحيوي في البناء التربوي والوجداني– هي مدار بناء الأمة، التي تختلف في تفاصيل نشأتها عن الدولة القُطرية التي خلفها الاستعمار، فالأمة تدور حول محورية التوحيد، وتمتد في تجسدها لكيان الأمة العربية والإسلامية، فتنقل الأسرة تلك الوحدة الأم في النظام التربوي شعور الوعي الجماعي بالأمة إلى اللاشعور الجماعي أيضاً، ومن ثم يكون التوحيد والأمة من متطلبات مشروع المقاومة في الأمة وتجديده في ضوء الوضع الراهن، فالأمة والتوحيد مفهومان جاذبان لكل أقطاب مفهوم الأمة ومكوناتها، والمقاومة في ضرورتها الراهنة هي موضوع الحركة لكل تلك الأقطاب.

إن الأمة في حاجة إلى التماسك من أجل الوَحدة الجامعة، والمقاومة هي المفاعل الاستقطابي الذي ينبغي أن تعمل لأجله التنشئة السرية الحيوية الحضارية.

المسار الاجتماعي والثقافي في المقاومة:

لا يمكن لمجتمع متخلل في بنيته الذاتية أن ينجح له مشروع للمقاومة، بل أن مشروع وجوده ومصيره يهتزان في ضوء هذا الخلل الذي يصيب بناءه الاجتماعي، ولعل حالة المجتمع العربي والإسلامي تشير إلى هذا الخلل بوضوح الذي حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم، وهو مجتمع الغثاء «ولكنكم غثاء»، فهذا المجتمع المتحلل من كل صور التماسك وقيم التواصل والانسجام النفسي والثقافي، لا يستطيع أن يقوم لله جماعة ولا أفراداً، وهذا القيام هو جوهر مشروع المقاومة، من أجل تحرير الأرض والإنسان (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا) (سبأ: ٤٦)، وهنا تبدو الأهمية الحضارية والوجودية معاً لبناء مشروع المقاومة في ظل متطلب شبكة علاقات اجتماعية قوية ومتماسكة، مجتمع الحجر الواحد مجتمع البنيان المرصوص؛ (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾) (الصف)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» (أخرجه البخاري).

إن الأساس الروحي الذي يمكن أن يستعيد المجتمع المسلم شبكة علاقاته الاجتماعية عليه في الوقت الراهن هو مشروع «المقاومة»، لا باعتبارها مشروعاً مادياً صرفاً لهزيمة الاحتلال ودحر الكيان الصهيوني من الأرض المقدسة وفقط، بل باعتباره مشروعاً حضارياً شاملاً جامعاً للبعد الثقافي للأمة في أفكارها وقيمها، والتنظيم الاجتماعي في لحمته

الفريدة ونظامه الذي يعكس رؤية توحيدية للإنسان ورسالته في الكون، والنظر للإنسان ذاته وكرامته وأخلاقياته، ومركزية قيمة التدافع في تحقيق التوازن الأرضي حتى لا يطغى الشر على حياة الإنسان، وتفسد الحياة، ويفسد الكون، وتفسد النفس، وتغيب العبودية والتقوى وهما غاية الحياة وغاية خلقتها؛ (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾) (البقرة).

إن التدافع في مشروع المقاومة الإسلامي كما يطرحه القرآن يضع معنى دفع سواء كان فعلاً أو اسماً في سياق متميز من الردع الهادف، وكما هو الشأن في الطبيعة عند وقوع الزلازل بسبب النشاط الجوفي للأرض الذي تتدافع على أثره الحمم ثم تعود الأمور إلى مجراها الطبيعي[1].

ومشروع المقاومة هو ميزان الأرض، وكما أنه خافق الأمة وقلبها ومشروعها الحضاري، وهو-أي مشروع المقاومة- أداة التدافع الإلهي في الأرض، والإنسان في هذا البناء الاجتماعي المرصوص يشغل قلب ذلك البناء ومصدر التغيير والدفع والدافعية والتدافع والقيام والمقاومة والتفكر، فلا مجال لبناء مشروع المقاومة أو أي مشروع دون الإنسان، وهذا الفرض الحضاري هو مرتكز القرآن التغييري الذي يقوم على جوهرية فكرية التغيير الذاتي من أجل تحقيق التغيير الحضاري؛ (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) (الرعد: ١١)، وعلى مكانة الناس في القيام بالقسط في الأرض؛ (لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (الحديد: ٢٥).

إن جماعية الفعل المقاوم وفعل النهضة وفعل التحرير أمر لا مراء فيه، فلا مجال لاستدعاء رمزيات بطولات فردية، فهذا مما تم تصديره خطأ لبعض الشخصيات التاريخية، فإن حركة النهضة الإسلامية، كما كانت حركة الفتوحات وحركات التحرر، كانت جميعها ترتبط بالفعل الجماعي والنهضوي الشامل لهذه الأمة، «لا يوجد الإسلام والقرآن مكان للنظريات التي تفسر التغيير الاجتماعي بالعوامل المادية أو نظريات الشخصيات البارزة، فإن أعظم شخصية إنسانية في نظر الإسلام هي شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا كان الإسلام يعطي للشخصية هذا الدور باعتباره العامل الرئيس لتغيير المجتمعات والتاريخ، لكان من اللازم أن يعتبر الأنبياء عليهم السلام -وخاصة نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم- هم عامل التغيير والتحول الاجتماعي، ولكن ليس الأمر كذلك، فالقرآن ذكر أوصاف النبي ورسالته والدور الذي يقوم به، وهو أن يقوم بدور المبلغ للرسالة وعليه البلاغ وليس أكثر، فهو مسؤول عن إبلاغ الرسالة، وهو بشير ونذير»[2].

إن المجتمع العربي والإسلامي لا بد أن يتكون لديه شبكة ثقافية واحدة نحو مشروع المقاومة، حتى وإن بدأ بنواة جماعية صغيرة، ثم تمتد ظلالها حتى تستجيب الأمة كلها لفكرة واحدة ونداء واحد، والعمل في ذلك ينبغي أن يبدأ ويبنى على ما تحقق فعل التراكم عليه، أي القيام بتجسدات فكرة المقاومة ومشروعها الحضاري في جماعات ذات عرو صغيرة، فتتمدد وتكثر على غرار المتواليات الهندسية، حتى تتكون قاعدة متماسكة بثقافة ومفاهيم مشروع المقاومة المنشود.

رغم مرور قرن على «وعد بلفور» لم تتأسس مؤسسات استشرافية خاصة بالصراع الصهيوني الإسلامي

الأمة ليست في حاجة إلى من يذكرها بمناسبات الهزائم ولكنها بحاجة إلى من يضع مشروعاً نهضوياً للمقاومة

المسار النخبوي والمؤسساتي المدني:

لا تعاني الأمة من نقص في عقول المثقفين والمفكرين والنخب، لكنها تعاني من تحديد المقصد، والمشروع والرؤية، وقد بدأ الاهتمام بثلاثية «القدس والأقصى وفلسطين» متزايداً إبان النكبة الأولى، واتسمت الكتابات -منذ قيام الكيان الصهيوني- بالعاطفة الكبيرة والانفعالية والحماسية، وقد تبنى مركز البحوث العربية (١٩٥٢م) كثيراً من هذه الكتابات من خلال عقد الندوات وإصدار الكتب، ثم تضاءل الاهتمام بمرور الزمن وضعف دور المركز على الساحة القومية، إلى أن تأسس مركز دراسات الوحدة العربية (١٩٧٥م) على نخبة من القوميين العرب، وكانت القضية الفلسطينية والاحتلال الصهيوني ضمن أهم اهتماماته.

وتركز اهتمام المركز على تحقيق الوحدة العربية التي مثلت مشروعاً وطنياً في فترة من الفترات تحديداً في بداية الصراعات الصهيونية العربية من عام ١٩٦٧م حتى «كامب ديفيد» التي شقت العرب إلى نصفين وحطمت مشروع الوحدة، ثم تسلل العرب جميعاً في العقدين الأخيرين إلى منافسة «كامب ديفيد» وتجاوزها بسنوات ضوئية بعيدة، وهو ما تم فيه إعلان موت مشروع الوحدة العربية على أساس قومي بإعلان «ترمب» القدس المحتلة عاصمة الكيان الصهيوني.

والملاحظ الذي نرغب في الإشارة إليه أنه وبعد مرور قرن على «وعد بلفور» المشؤوم (١٩١٧م) لم تتأسس في العالم الإسلامي مؤسسات استشرافية خاصة بالصراع الصهيوني

- الإسلامي، يكون دورها استشراف المستقبل لذلك الصراع، وبناء جبهات مضادة شعبياً ونخبوياً لمشروع التطبيع، وبناء خارطة للمقاومة في الأمة، وتكوين رأي عام مضاد للكيان الصهيوني يضغط على الحك wwومات والأنظمة التي قبلت التهويد رسمياً وثقافياً، حتى وصل بعض الرؤساء إلى حالة من التماهي التام مع المشروع الصهيوني ومن دول تزعم تمثيل الإسلام.

إن بناء خارطة جديدة للمقاومة في الأمة في ظل التداعيات الكارثية الجديدة، لا ينبغي أن يكون بعيداً عن المسار البحثي والعلمي، وهنا لا بد أن تستنفر الأمة باحثيها ومؤسساتها المدنية المستقلين عن السلطات والحكومات العربية، من أجل تأسيس مراكز بحثية ودراسات تعتني باستشراف مستقبل المقاومة والتحرير والتحرر من براثن الكيان الصهيوني ومشروعه الاستعماري للأرض والإنسان.

لن يستطيع العرب والمسلمون العيش في «أيام الله» إلا بالإعداد لجيل يحمل «وعد الآخرة»

الأمة ليست في حاجة إلى من يذكرها بمناسبات الهزائم، ولكنها بحاجة إلى من يضع مشروعاً نهضوياً للمقاومة يكون مداره الدرس والبحث والعمل الجاد، وتكوين مراكز المقاومة لتحقيق نتاجاته الفكرية والتربوية والثقافية، بمعنى أن يقدم لنا الإجابة عن سؤال اللحظة التاريخية واللحظة الراهنة «ما العمل؟».

نحتاج في تجديد مشروع المقاومة مأسسة للعمل المقاوم، وفقه الواقع واستشراف الواقع القريب والبعيد وطرح سيناريوهات وبدائل لتحقيق الغاية الكبرى وهو مقاومة حضارية شاملة تحرر الأرض والإنسان.

إن العرب والمسلمين لن يستطيعوا أن يعيشوا «أيام الله» مهما كدسوا من بناء، ومهما تمتعوا بمتع زائلة، ومهما ظنوا الأمن في جوار الاحتلال الصهيوني بالاتفاقات التي أبرموها معه، رغم أن الوحي ما فتئ يذكرنا بنقضهم للعهود والمواثيق، والافتئات على الله ذاته، وكيف أنهم ماضون في الإفساد في أرض الله لتحقيق أطماعهم المشوهة.. لن يستطيع العرب والمسلمون العيش في «أيام الله» إلا بالإعداد لجيل يحمل «وعد الآخرة» إلى الأمة ليقيم الحق والقسط في الإنسانية كلها، ويكون شاهداً لا مشهوداً عليه.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.■

الهامشان

(١) منى أبوالفضل: «النظرية الاجتماعية المعاصرة: نحو طرح توحيدي في أصول التنظير ودواعي البديل»، مجلة إسلامية المعرفة، العدد السادس، ص ٩٧.

(٢) على شريعتي: منهج التعرف على الإسلام، ص ٤٣.

الفن.. وتغيير المجتمعات

تنطلق ومضات نورانية وتربوية في حياة الناس، حيث تفاعلهم مع طبيعة المرحلة، وطبيعة الرسالة التي يتلقونها من المحيطين بهم فتترك البصمة في هذه النفوس.. قد يظن كثير من الناس أن معنى الالتزام أو التدين أن يكون المسلم الملتزم عابس الوجه مقطب الجبين، قليلاً ما يضحك أو يمازح أحداً! هذه صورة أصبحت راسخة عند الكثيرين، حتى إن كثيراً من المتدينين تقمصوا تلك الشخصية فعلاً، وظنوا أن تلك الصورة هي كمال التدين، وهم بقدر تقمصهم لتلك الشخصية بقدر بعدهم عن روح الإسلام الصحيح.

عبده مصطفى دسوقي

يحتل بدول العالم المتقدم مرتبة مهمة في الحياة اليومية لتحقيق ما تخططه من أهداف تربوية

رسالة لها أثر عميق على النفس ولها مغزى في الحياة حيث يكمن الإبداع والأصالة

يحمل بين سطوره خطوات نحو ترسيخ القيم وعلو الهمة والنبش في الأخلاقيات المندثرة

الفن يحتل في دول العالم المتقدم مرتبة مهمة في الحياة اليومية، محققاً ما تخططه من الأهداف التربوية أو الأخلاقية أو الأمنية وحتى السياسية، وهو إحدى أهم الوسائل الإعلامية التي ترقى بالمتلقي (الجمهور) وتساعد على ترسيخ الهوية الوطنية، وهو الساعي دوماً لتوفير حلول لمشكلات المجتمع، وخصوصاً ما يندرج تحت التنشئة الاجتماعية، صانعاً مرآة واضحة لملامح المجتمع بمحاسنه وسيئاته ويحفزه بخطاب مؤثر جداً للتغيير.

يعتبر الفن رسالة لها أثر عميق على النفس ولها مغزى في الحياة، حيث يكمن الإبداع، والتميز، والأصالة، والتفرد، وهي الوسيلة للتعبير عن الأفكار، والمشاعر، والأحاسيس.

بين سطور الفن

بسبب ما تعرضه دور السينما وشاشات العرض والقنوات من فن مبتذل، وأصبح جل همهم عرض مفاتن المرأة وترسيخ القيم السيئة أكثر من كون الفن مدرسة تربوية هادفة تعمل على إصلاح المجتمعات وتنمي قدرتها على التجديد والإبداع، جعل المجتمعات في حالة فوضى خلاقة كسفينة في بحر لجي تتقاذفها الأمواج ولا يرى أثر لنجاة.

لكن الفن يحمل بين سطوره خطوات نحو ترسيخ القيم وعلو الهمة والنبش في الأخلاقيات المندثرة؛ فيزل عنها غبارها وصدأ لونها، فتتجلى في أبهى صورة، فتخرج سيقانها متفرعة بجميل الأخلاق وحلو الكلام، فتتربى الأجيال عليه تربية مجسمة تترسخ في الأذهان.

ولقد رأينا العديد من

الفن الهادف الذي عرفنا بسير الأبطال، ونضارة التاريخ الإسلامي، وعلو القدوة في سلفنا الصالح الذي يتلمس الشباب خطاهم فلا يجدون أثرهم لطمس تاريخهم وتزييف حقائقهم.

يعتبر الفن من العوامل المؤثرة في تطور الأمة وتكوين عقليتها وتكييف أخلاقها، ولذا يجب أن يتحول الفن بعد ذلك إلى نعمة تفتخر بها إنسانية العصر الحاضر[1].

نحو التغيير الحقيقي

ينظر الناس للفنانين نظرة استصغار، وربما احتقار، رغم ما يقدمونه من عمل – لكنٍ لو كان هادفاً مصلحاً لا مبتذلاً– لكننا وجدنا في وسط هؤلاء من يحمل على عاتقه رسالة فنية مغلفة بروح الأخلاق الإسلامية، فتقول سميرة المغربي، زوجة الفنان حسين صدقي: حسين صدقي كان يؤدي الفروض، وكنت ألحّ عليه بعد التزامي أن يترك العمل في السينما، وذات مرة أثناء زيارتنا للشيخ سيد قطب في المستشفى قبيل إعدامه، ذكر زوجي له ما أطلب منه، فكان رده عليه: إن الحركة الإسلامية محتاجة لفن إسلامي، وإنني أكتب عشرات المقالات وأخطب عشرات الخطب، وبفيلم واحد تستطيع أنت أن تقضي على ما فعلته أنا أو تقويه، أنصحك أن تستمر لكن بأفلام هادفة[2].

إن التاريخ الإنساني به الكثير من المواقف التربوية التي تعلي همم الأفراد وترسخ مفهوم الهوية والاعتزاز بالانتماء للأمة.

ويحمل الفن رسائل عديدة لو خرج للجمهور بالصورة المثلى، فهو يعمل على:

١- تهذيب الذوق وصقله؛ لأن الفن هو الجمال والإقبال عليه يسمو بالإنسان.

٢- التعريف بقضايا الأمة وطريقة معالجتها بطرق محببة للنفس وجذابة لترسخ في الذهن.

٣- إظهار وتجسيد التراث الإسلامي ليتعرف عليه الناس في ظل محاولات طمس هذا التراث.

٤- إصلاح المجتمع بوسائل محببة ولا يحرمها الشرع، ولإظهار المعاني الجمالية في الأخلاق الإسلامية عن طريق الفن.

٥- يؤدي الفن دوراً مهماً في تحقيق التوازن النفسي عند الإنسان؛ ذلك أنه يخفف

قطب: أكتب عشرات المقالات وأخطب عشرات الخطب وفيلم واحد يقضي على ما فعلته أو يقويه

عنه عبء الحياة اليومية، وعلى ضفافه تتحطم أمواج السخط والغضب؛ فتلين النفس وتسترد هدوءها.

٦- يعمد إلى تقريب وجهات النظر بين الشعوب، وتبادل التراث المجتمعي، والتعرف على حقائق المجتمعات.

٧- يعمل على محاربة الفساد والظواهر التي انتشرت في المجتمعات ويتغاضى عنها الجميع في ظل حساسيتها أو الجهل بها.

٨- يساعد في معايشة الظروف والأحداث في ظل التنظيمات الكبرى، وينمي المشاعر الأخلاقية تجاه الإنسانية.

٩- يعمد إلى غرس العادات والتقاليد الحاضرة وتطور الأحكام الأخلاقية المتطلبة لحاجات المستقبل، حيث يعد أداة تربوية للإنجاز من خلال إحداث التغير في المجتمع.

١٠- يعمل على خفض السلوك العدواني لدى الأفراد، ويساعدهم على التعبير اللفظي الحر والتنفيس الانفعالي والتلقائي.

إن الفن جزء من الحياة، ويعد ترجماناً صادقاً لمشاعر الأمة؛ يصور خلجاتها، ويعبر عن أحاسيسها، ويمثل حياتها بما يعتريها من آمال وآلام وأفراح وأحزان، وما تتقلب فيه الأمة من أعطاف النعيم، وما تتردى فيه من بؤر البؤس والشقاء، لذلك يجب أن ننبذ الرأي القائل: إن الفن للفن! وهي نظرية أدبية معروفة أخذناها من الغرب، وقامت حولها مناقشات ومجادلات كثيرة، نحن نرفضها لأن ديننا يسعى إلى إسعاد الإنسان في حياته وآخرته[3].

يؤدي دوراً مهماً في تحقيق التوازن النفسي عند الإنسان بتخفيف عبء الحياة اليومية

الهوامش

(١) مجلة الفتح، العدد ٥٥٧، ص ١٠، ١١، ٢٩ ربيع الآخر ١٣٥٦هـ.

(٢) مجلة لواء الإسلام، العدد الثامن، السنة (٤٤)، غرة ربيع الآخر ١٤١٠هـ/ ١ نوفمبر ١٩٨٩م.

(٣) حمد ناصر الدخيل: الأدب العربي الحديث، من إصدارات النادي الأدبي، حائل، ط١، ١٤٢٠هـ.

اليهودي الغامض والنخبة المعادية للإسلام (٢ - ٣)

«هنري كورييل».. والسباحة ضد تيار الوحدة العربية

بقلم: أ. د. حلمي القاعود

كان الموقف من السودان أول سباحة ضد التيار وفق تعبير «هنري كورييل» نفسه، فقد كانت القوى السياسية في مصر تطالب بوحدة وادي النيل تحت التاج المصري، أما الشيوعيون فكانوا وراء فكرة الانفصال، مثلما كان موقفهم من فلسطين سباحة ضد التيار، حيث انحازوا للصهيونية ومخططها العدواني، وقد استجاب ضباط الانقلاب الشيوعيون لأفكار «هنري» حول السودان وفلسطين عدا محمد نجيب الذي كان يؤمن بوحدة وادي النيل تحت تاج واحد.

رفض «هنري» فكرة الوحدة العربية وجامعة الدول العربية، ووصم الحركة المصرية (حمتو) التي كانت تحبذ الوحدة العربية بالعمالة للإمبريالية. (كفافي، ص ٧٨ – ٨٠، ورءوف عباس، ص ٦).

قبل عقود تنبأ المستشار طارق البشري في كتابه «المسلمون والأقباط» بأن بعض تلاميذ «هنري كورييل» سيشكلون قوة سياسية واجتماعية تتبنى السلام مع الكيان الصهيوني، خاصة أن هؤلاء الشيوعيين المصريين من تلاميذ «كورييل»، يحملون من العداء للإسلام والمسلمين أكثر مما يحملونه لليهود والصهاينة، وأن هؤلاء سيُدْفَعون للتقارب مع العدو الصهيوني، وللتطبيع ولتصفية الصراع المحتدم بين سارق لا يزال يَسرق ومسروق لا يزال يُسرق.

لقد كان هنري يرى أن حق «إسرائيل» في الدفاع عن نفسها حق مقدس، بينما يصف حق العرب في الدفاع عن فلسطين بالتعصب الشوفيني (القومي)، وهو يطالب بالسلام مع الكيان الصهيوني، والسلام لا يعني وقف الحرب، بل يعني الصداقة والمحبة.

وكان هنري يسمي عدوان عام ١٩٥٦م بالعمليات العسكرية كي يتجنب كلمة العدوان أو الحرب، بينما يصف المقاومة العربية والمصرية ضد إنشاء الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨م بالحرب القذرة، والحرب الإجرامية والعدوان الظالم، كما يصف الوجود المصري في قطاع غزة عام ١٩٤٨م بأنه وجود استعماري إرهابي، كما أن الإسلام عنده يمثل الفاشية والرجعية، بينما تمثل القومية التعصّب.

الإسلام والقومية

أبناء «كورييل» مثل أستاذهم يرون أن سوء موقف الكيان الصهيوني معنا سببه سوء مواقفنا نحن، فنحن المسؤولون، نحن الذين نخيف اليهود الطيبين بقسوتنا وبتهديدنا لهم وبتشجيع الفاشية (الإسلام)، والتعصب (القومية).

المستشار طارق البشري يرى أن «كورييل» وأتباعه قد صوّبوا على الإسلام والقومية وعاء الانتماء والتماسك، واتبعوا منهج: «ما لا تستطيع أن تصوّب عليه مباشرة فاضرب طلقاتك إلى جواره، واجعلها قويّة متتابعة بحيث تؤدي إلى الانكماش التدريجي أو الضمور الجزئي المتوالي للجسم كله، أو علق على هذا الكيان تهمة حتى يشعر كل منتم إليه بأنه مع جهره بانتمائه علياً يتعين أن ينفي شُبَهاً لصيقة أو قريبة من هذا الانتماء، فيؤول الانتماء بالتدريج من الجهر إلى الخفوت ومن اليقين إلى الظن ومن الاطمئنان إلى التردد».

أليس هذا بحذافيره هو ما يفعله العلمانيون مع المسلمين؟!

كما يؤكد المستشار طارق البشري أن بعض قدامى الشيوعيين المصريين أقرّوا أن المسؤولين في الحزب الشيوعي المصري كانوا ينفذون أغراضاً صهيونية ويضيف: «بدا لي أن هذا الوجود اليهودي الأجنبي في الحركة الشيوعية المصرية، لم يكن بعيداً عن التحرك الصهيوني في منطقة المشرق العربي المتاخمة لفلسطين، وبخاصة في الأربعينيات، وهو التحرك الذي أسفر عن إنشاء دولة «إسرائيل» عام ١٩٤٨م، كما أن هذا الوجود كان يوجه نشاط الحركة الشيوعية في مصر وجهة المجابهة ضد تيار الحركة السياسية القومية المتشددة، وذلك بوصف أن هذين التيارين تياران نازيان أو فاشيان مما يعتبران (كذا!) أكثر خطراً على البلاد حتى من الحكومات المصرية الموالية للاحتلال البريطاني.

بدؤوا يشجعون عدداً من أفراس الرهان، منها الحركة الشيوعية، وحسبهم منها أن تكون ركيزة لمقاومة التيارين الإسلامي والقومي، وهما تياران شعبيان، وأن تكون بوتقة لتذويب الشعور الوطني بالتميز والاختلاف عن الأجنبي».

لذا كان ألد أعداء الشيوعيين الصهاينة -بزعامة «كورييل»- الإخوان المسلمين، ومصر الفتاة، أما أصدقاؤه فقد كان الماسون على رأسهم، بل إنه كان يعقد اجتماعات حزبه الأولى في أحد محافلهم، لكنه فكر في اعتناق الإسلام كي يكون أكثر تأثيراً ثم تراجع لاعتزازه بنفسه.

وكان ينصح أتباعه بالتقية، ذلك أن من يخفي هويته لا يخدع الجماهير، أما من يجهر بها فهو يخدعهم! ولذلك فهو يدين من يسمي حزبه بالشيوعي، لأن كلمة شيوعي تعني في أذهان الناس معاني بغيضة وشاذة.

مقاومة الإسلام والقومية

ويتساءل المستشار البشري في دهشة: هذا الموقف (مقاومة الحركات الإسلامية والقومية بوصفها حركات فاشية) هو أمر طبيعي بالنسبة لـ«هنري كورييل»، ولكن الغريب أن يوجد بيننا نحن المصريين من ينظر إلى الأمور بنظرة هؤلاء، ثم يلمس البشري برقة وضعاً في منتهى الخطورة: لقد أنشأ اليهود الصهاينة الأحزاب الشيوعية المصرية وعلى رأسها «حدتو»، ثم تمكنوا من السيطرة على المصريين الذين انضموا إلى ذلك الحزب -الصهيوني الشيوعي- وأن يكونوا زعماءه، لكن الأغرب بلا حدود هو أن هؤلاء الزعماء اليهود الصهاينة قد استمروا على زعامتهم وسيطرتهم على هذا الحزب حتى بعد أن تم تهجيرهم من مصر. (راجع تفصيلاً أكثر في: طارق البشري، المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٦٥٧- ٦٦٨).

سعى «كورييل» إلى ضم أكبر عدد ممكن من الأعضاء وخاصة الشخصيات البارزة والمهمة إلى التنظيمات الشيوعية في مصر إلى جانب رعايته للشيوعيين في السودان، واستطاع أن يكوّن عدداً من التنظيمات الفاعلة، أبرزها:

- منظمة تحرير الشعب؛ تنظيم «مارسيل إسرائيل»، واهتمت هذه المنظمة بالعنصر العمالي لتكون عمالية صرفة، والاهتمام بتجنيد الشيوعيين النقابيين على وجه الخصوص.

- منظمة «أسكرا»، وهو تنظيم «هليل شفارتز»، واتبعت أسلوباً انتقائياً دقيقاً لتجنيد عناصرها من المثقفين وخاصة ذوي الثقافة الفرنسية من أبناء البرجوازية المصرية.

- «حمتو»؛ وهو تنظيم «هنري كورييل» نفسه، واهتم بتصمير الحركة وتعميمها في آن واحد.

كان هناك صراع بين «كورييل» ورفاقه اليهود حول تهويد الحركة الشيوعية أو تعريبها، ولكن تيار التعريب انتصر، لجذب أكبر عدد من الأعضاء الوطنيين الذين يعملون من أجل الاستقلال والتقدم دون أن يدركوا خلفيات التخطيط اليهودي وأهدافه غير المعلنة من الحركة الشيوعية المصرية والعربية، وقد استطاع «كورييل» تجنيد النقابيين والطلاب -خاصة الفقراء- وبعض طلاب الأزهر والنوبيين والسودانيين الذين كان لكل منهم قسم خاص يعبر عن الاتجاه العنصري والانفصالي، الأمر الذي لم يقدم له «كورييل» تفسيراً، وخطا خطوة أبعد حين قرر أن الثورة لا تتم في أوقات الفراغ، واختار كوادر من الطلاب والعمال الفقراء ليكونوا مناضلين محترفين أو متفرغين مقابل مكافأة شهرية كبيرة بأسعار زمانها. (كفافي، ص ٨٨-٩١، ورءوف عباس، ص ٢٢).

وقد شكل «كورييل» تنظيم «حدتو» من منظمتي «حمتو» و«أسكرا»، وكان موقفهما واحداً من القضية المصرية المعروضة عام ١٩٤٧م على مجلس الأمن؛ فقد اتفقا على المطالبة بالجلاء والاستقلال التام، ووضع السودان تحت الوصاية المصرية لحين إجراء استفتاء لتقرير المصير بعد جلاء الإنجليز عن السودان.

اختلفت المنظمتان حول فلسطين، ترى «حمتو» أن المعارضة المصرية الوطنية لتدفق اليهود على فلسطين نوع من العداء للسامية، وأن مقاومة الصهيونية درب من دروب الإمبريالية!

أما «أسكرا» فكانت تعمل على مقاومة الصهيونية، وشكل «هليل شوارتز» «العصبة اليهودية لمقاومة الصهيونية»، ولكن معارضة «حمتو» والأعضاء اليهود بالحركة أدت إلى حل العصبة بعد أسابيع قليلة من تأسيسها (كفافي، ص ١١٩ وما بعدها).

وقد خرجت من عباءة «حدتو» ثلاث منظمات، هي:

الأولى: نحو منظمة بلشفية.

الثانية: صوت المعارضة.

الثالثة: العادليون نسبة إلى عادل (معبود الجبيلي، وزير سابق للبحث والطاقة في عهد عبدالناصر).

الاعتقال

وقد قام البوليس السياسي باختراق «حدتو» وهذه المنظمات، واعتقل في مايو ١٩٤٨م معظم كوادرها، وسيقوا إلى معسكر الاعتقال في هايكستب، وبعد خروجهم من المعتقل شكلوا جماعات أخرى بعيداً عن «حدتو»، وإن كان هناك من ظل فيها وعمل باسمها حتى عام ١٩٥٣م فانقسمت مرة أخرى، وظل «كورييل» يتابعها من الخارج بعد طرده من مصر عام ١٩٥٠م، فقد كان يجمع -مع كل الصراعات بين التنظيمات الشيوعية- كل شيء في يده، لأنه كان يرفض تمصير الحركة أو ترك قيادتها لشخص مصري.

كان موقف «حدتو» من القضية الفلسطينية هو موقف «كورييل» الذي كان يحتفظ بصلات قوية مع رجال الفيلق اليهودي في الحرب العالمية الثانية، وتعاون معهم في توزيع المطبوعات على الأسرى الألمان والطليان، وأشاد بهم في مذكراته وأطرى شجاعتهم، وانتقد الإنجليز لعدم إسناد دور قتالي لهم خشية تحسين قدراتهم القتالية التي كانت موجهة لضرب

• هنري كورييل

رفض فكرة الوحدة العربية وجامعة الدول ووصم «حمتو» التي كانت تحبذ الوحدة العربية بالعمالة للإمبريالية

كان يرى أن حق «إسرائيل» في الدفاع عن نفسها حق مقدس بينما يصف حق العرب في الدفاع عن فلسطين بالتعصب الشوفيني!

الإسلام عنده يمثل الفاشية والرجعية بينما القومية تمثل التعصّب

كان فكره وسياسته وإستراتيجيته كلها تصب في خدمة إنشاء دولة اليهود الغاصبة

الفلسطينيين والعرب.

يذكر أن «كوريل» كان يعادي النشاط اليهودي الذي يرفض الصهيونية، ويتهم هذا النشاط بالعداء للسامية، كما كان يصف حرب فلسطين عام ١٩٤٨م بالحرب الإمبريالية الظالمة ضد دولة «إسرائيل»! (كفافي، ص ١٢١- ١٢٣).

يلاحظ أن الشيوعيين بقيادة «كوريل» على تعدد منظماتهم لم يشاركوا المصريين في الإضرابات والمظاهرات التي خرجت عام ١٩٤٥م بمناسبة «وعد بلفور»، وقد علل «كوريل» لذلك بأنه امتنع عن المشاركة في المظاهرات لأنها معادية للسامية، ولأن الإخوان المسلمين دعوا للاشتراك في هذه المظاهرات بتحريض من الإمبريالية والحكومة المصرية لصرف الأنظار عن القضية الوطنية، كما لوحظ أن «كوريل» كان يغفل تماماً صلاته بالحزب الشيوعي الفلسطيني، فضلاً عن أن بعض العبارات التي تفلت منه عندما يشير إلى حرب فلسطين كانت تؤكد صهيونيته وولاءه للكيان الغاصب مثل «الحرب الظالمة ضد إسرائيل»، و«الحرب الإمبريالية ضد إسرائيل»، لقد كان فكره وسياسته وإستراتيجيته كلها تصب في خدمة إنشاء دولة اليهود الغاصبة، وهو الفكر والسياسة والإستراتيجية الصهيونية العالمية نفسها التي وضعت أسسها مع «وعد بلفور» عام ١٩١٧م.

الحمائم والصقور

وقد مثل «كوريل» واليهود الشيوعيون في «حدتو» وخارجها دور الحمائم في مواجهة الصقور الذين أعلنوا عن أنفسهم في الكيان الصهيوني باسم «أنصار السلام» و«السلام الآن»، وكان الهدف هو بناء إستراتيجية تقوم على محورين:

الأول: تلجيم كراهية المصريين لليهود وخلق مناخ من السلام بين العرب -بمن فيهم المصريون والفلسطينيون- واليهود.

الآخر: هو بث الإشاعات بوصم كل العرب بالخيانة، وتجسيد الخيانة لمن فرطوا فعلاً ومن لم يفرطوا، وبذلك خلق جو بلبلة، حتى صار التراشق بالخيانة والعمالة مسألة معتادة في هذه الفترة.

لقد استغل اليهود حياة التسامح التي يعيشون في ظلها داخل مصر والبلاد العربية بوصفهم جزءاً من الأمة لتحقيق مآربهم الشيطانية وتنفيذ مخططاتهم العدوانية، ولعل قصة النحاس مع مكرم عبيد، والكتاب الأسود حول شراء النحاس خمسين فداناً من اليهودي دواد عدس تكشف مدى خبث اليهود؛ فقد اكتشف الجمهور أن عدس كان يلح على بيع الخمسين فداناً ليشتري بثمنها بيارة (عزبة) في أرض فلسطين، وفي ظل التسامح كان النحاس وبالتالي المصريون لا يدركون شيئاً عن المخطط اليهودي الشيطاني (رءوف عباس، أوراق كوريل، ٨٥ وما بعدها، وكفافي، ١٢٥-١٣٠).

البشري: بعض قدامى الشيوعيين المصريين أقروا أن المسؤولين بالحزب الشيوعي كانوا ينفذون أغراضاً صهيونية

الإخوان المسلمون ومصر الفتاة كانوا ألد أعداء الشيوعيين الصهاينة بزعامة «كوريل»

لقد كان «كوريل» ينفذ النظرية الصهيونية بأن يظهر غير ما يبطن، وكان يمارس الخداع على مستوى عال؛ فقد كان يزعم دائماً أنه مصري حتى النخاع، وأنه يفخر بمصريته، وأنه لن يغادر مصر، ليكون تأثيره قوياً دائماً في الشباب المصري الشيوعي لدرجة أن بعضهم نظر إليه نظرة المخلّص، ولدرجة أنه رفض الإفراج عنه وترحيله إلى الكيان الصهيوني حتى لا يحرم من مصر التي يعدّها الصهاينة بوابة إنشاء الكيان الغاصب، وحتى لا يكون مديناً بحريته لهزيمة الجيش المصري كما يقول، لقد كان يعلم أنه لو غادر مصر فسوف يفقد دوره إلى الأبد (لقد ظل بعد طرده من مصر على علاقة قوية بالشيوعيين المصريين وبعض الأطراف ومنها من كان على قمة السلطة).

لقد استطاع تجنيد عدد كبير من الشباب المصري في منظماته الشيوعية، وقد اكتشف بعضهم أنه على علاقة بالبوليس في عملية اختراق متبادل، وكان يضحي ببعضهم ويبلغ عنهم ويقدمهم للاعتقال، كما فعل بشهدي عطية الشافعي ومجموعته. (كفافي، ١٣٥).

الكرم والخيانة

ومن المفارقات أن «كوريل» قابل كرم المصريين له ولعائلته بالخيانة والدس وتأليب المجتمع المصري ضد بعضه، لقد كان المصريون يودون والده «دانييل» في قصره بالزمالك ومعظمهم من صفوة المجتمع وشبابه، فاستغل ذلك لتجنيد الشباب ومعرفة الأسرار، واستغل فتاة مصرية كانت ساعده القوي والمعنوي وهي أسماء بنت الأميرالاي محمد بك البقلي، مدير سجن محكمة استئناف القاهرة، وكانت فتاة مثقفة تتقن الفرنسية، وتزوجت أسعد حليم فيما بعد، وهو الساعد الأيمن لـ«مارسيل إسرائيل»، رئيس منظمة الشعب الشيوعية.

كان «كوريل» يتردد على منزل البقلي في المعادي، ويقابل بفيض من كرم الضيافة الذي يميز المصريين عن كل شعوب الأرض حسب تعبير «كوريل» نفسه، ولكنه استغل ذلك من أجل إقامة الكيان الغاصب في فلسطين، ومن ثم إقامة سلام دائم بين اليهود الغاصبين والعرب وتلجيم موجة الكراهية التي يكنها كثير من المصريين للصهيونية، لقد كان «كوريل» يتباهى باختراقه للبوليس المصري، ويؤكد أنه يضع رجاله في جيبه! ويستشهد بقصة وضعه تحت المراقبة بعد خروجه من المعتقل. (كفافي، ص١٣٧).

لقد كان يردد مصطلح معاداة السامية الذي روج له اليهود تعبيراً عن اضطهاد النازي لهم، والحقيقة أن هذا كان بفعل أيديهم، فأغلب الضحايا اليهود كانوا من المرضى والعجزة وأصحاب العاهات والأمراض المزمنة والفقراء والشيوخ، وكانت تتم التضحية بهم لحساب الأصحاء والأقوياء والشباب؛ لتنسج قصص وحكايات حول معاداة السامية، لقد كانوا يدربون شبابهم على القتل والقتال في كل مكان، وكانت مصر مسرحاً لذلك فقد كانوا يدربون مقاتليهم في صحراء حلوان والإسكندرية. (كفافي، ص ١٣٩).■

الغوطة الشرقية

الرحمة العالمية
RAHMA INTERNATIONAL
جمعية الإصلاح الاجتماعي
التميز في العمل الخيري

إغاثتهم رحمة

محاصرون ونازحون بحاجة لعونكم

قيمة السهم 30 د.ت

حولي ، السالمية ، سلوى ، الفيحاء ، الروضة ، صباح السالم ، القرين ، الصباحية ، الفحيحيل
لولوهايبر الضجيج ، صباح الناصر ، الأندلس ، الصليبيخات ، القصر ، سعد العبدالله

1 888 808

khaironline.net

@khaironline

2018 indd 2 2/22/18 2:15 PM

اليهود بين أمة الإسلام والأمم الأخرى (٥)

ذلك هو المقال الخامس من سلسلة المقالات المستمرة التي تقارن بين أوضاع اليهود في ظلال الأمة الإسلامية، وأوضاعهم التي عاشوها في ظلال الأمم الأخرى، وآثرنا أن تكون مادة المقالات جميعها من مؤرخين غربيين ومستشرقين كي تكون الحجة أبلغ.

استعرضنا في المقال الأول نظرة عامة، وفي المقال الثاني تناولنا أحوالهم في عصر النبوة والخلافة الراشدة، وفي المقال الثالث تناولنا أحوالهم في عصر الدولتين الأموية والعباسية، وفي المقال الرابع أحوالهم في ظل الأندلس، ونتناول في هذه السطور أحوالهم في ظل الدولة العثمانية.

كيف عاش اليهود في الدولة العثمانية؟

محمد إلهامي
باحث مصري في التاريخ والحضارة الإسلامية

يسجل المستشرقان البريطانيان «هاملتون جب»، و«هارولد باون»، لحظة ما بعد فتح القسطنطينية، على هذا النحو: «سمح الفاتح لهم (اليهود) بالاستقرار في إسطنبول، وعيّن الحاخام باشي، أو الحبر الأعظم، الذي مُنح سلطات مشابهة لتلك التي مُنحت للبطريرك، على جميع تابعيه في الإمبراطورية، تمتع الحاخام في الواقع بمكانة تفوقت على مكانة البطريرك وتلت مباشرة مرتبة رئيس العلماء، ومن خلال ذلك أصبح موقف اليهود أفضل بشكل عام»[١].

لهذا، وكما يقرر المستشرق اليهودي الصهيوني المتعصب «برنارد لويس»، فإن «معظم اليونانيين الذين كانوا غادروا المدينة قبيل الفتح قد عادوا إليها إلا القليل منهم، وجاء الآخرون من جميع أنحاء الإمبراطورية ليشاركوهم، وشكل هؤلاء جالية غنية تحت زعامة بطريركهم، وقد ازداد عدد اليهود أيضاً، الذين كانوا موجودين من قبل في العاصمة البيزنطية»[٢].

ويُفَصّل في نمو وتطور الجالية اليهودية في ظل الدولة العثمانية، فيقول: «استطاع اليهود كسب ود المسلمين، وأصبح لهم ميزة على المسيحيين، فكان الأتراك يثقون كثيراً بذكائهم اللماح، ومهاراتهم في القضايا السياسية والاقتصادية الحساسة.. وكان اعتماد الدولة التركية في الاتصال بالغرب على اليهود أكثر من اعتمادهم على أي طائفة أخرى مثل اليونانيين أو الأرمن، وهكذا تمكن اليهود بذكائهم من إقامة وتطوير مستعمرة تجمع التكتل اليهودي في مدينة سالونيكا بعد فتح العثمانيين لها، حيث تمكنوا من الاستفادة من هذه البقعة والميناء البحري الإستراتيجي المهم.

وهكذا يمكنك أن تلاحظ أنه خلال القرن السادس عشر استطاع اليهود الأوروبيون الظهور بالمظهر المشرف في الدولة العثمانية؛ حيث أظهروا مهارات وقدرات تمكنهم من أداء الخدمات الخاصة والمهمة، لذلك كانوا يؤدون بعض الأعمال الخاصة لملوك مصر الذين كانوا يستعينون بخبرتهم ومعرفتهم باللغات الأوروبية، ومن ثم كانت تُعهد إليهم المهام الخاصة بالأنشطة الدبلوماسية، وأصبح لهؤلاء اليهود حق التنقل بحرية تامة، والاشتغال بالتجارة تحت حماية الدولة العثمانية»[٣].

> كان اعتماد الدولة التركية في الاتصال بالغرب على اليهود أكثر من اعتمادهم على أي طائفة أخرى
>
> كانت تُعهد لهم المهام الخاصة بالأنشطة الدبلوماسية فتنقلوا بحرية تامة تحت حماية الدولة

يؤكد هذا المعنى ذاته الباحثُ اليهوديُّ «ميخائيل فينتر»، فيقول: «وعلى الرغم من أن الإمبراطورية العثمانية كانت دولة إسلامية سُنية متشددة مثلها مثل السلطة المملوكية، فإنها كانت دولة مستنيرة عملت على التحلي بمفاهيم العصر، ولقد أدى الدمج بين النظرة الأساسية المتزنة للسلطان ورعاياه والمنظور العلمي العقائدي، إلى تحسن وضع اليهود في كافة أنحاء الإمبراطورية، فتقلد اليهود في مصر العثمانية بعض المناصب الرفيعة في وزارة الخزانة، وصحيحٌ أن وضع اليهود في فترة المماليك الشراكسة (١٣٨٢ – ١٥١٧م) كان مُعزّزاً في الإدارة قياساً بفترة المماليك الأتراك (البحريين) (١٢٥٠ – ١٣٨٢م)، وذلك على الرغم مما قلناه من قبل عن وضعهم العام في الدولة المملوكية، فإن الفترة العثمانية دفعت على الأقل باليهود الذين عملوا في وزارة الخزانة إلى قمم لم يعرفوا لها مثيلاً من قبل، أو على الأقل منذ الحكم الفاطمي في العصور الوسطى»[٤].

وفي الحقيقة، يمكن إجمال وضع اليهود في تلك الفترة بكلمة «ج. هـ. جانسن»: «عاش اليهود تحت الحكم العثماني بسلام، لكنهم كانوا يلاقون دوماً في أوروبا الشرقية تمييزاً وكراهية

«جانسن»: عاش اليهود تحت الحكم العثماني بسلام رغم معاناتهم الدائمة من التمييز والكراهية بأوروبا الشرقية

«مانويل برودو» كان واحداً من بين الأطباء اليهود ذوي الأصل الأوروبي الذين عملوا في خدمة السلطان

قوية كانت تتفاقم من وقت لآخر لتنتهي بالمذابح»[٥]، ولهذا انتهت الدولة العثمانية، كما يقول «بروكلمان»، «إلى أن تصبح ملجأ للحرية الدينية بالنسبة إلى اليهود المطرودين من إسبانيا والبرتغال عند منبلج القرن السادس عشر، فما وافت سنة ١٥٩٠م على وجه التقريب، حتى بلغ عدد سكان الحي اليهودي في إسطنبول نحواً من عشرين ألفاً، واتخذ اليهود سبيلهم إلى قصر السلطان، بادئ الأمر، بوصفهم مضحكيم ومشعوذين.. ولكنهم عرفوا، إلى ذلك، كيف يفرضون أنفسهم على البلاط بوصفهم أطباء»[٦].

ولم يكن أطباء القصر مجرد أطباء، كما يشير «برنارد لويس»، فعلى سبيل المثال «كان مانويل برودو واحداً من بين الأطباء اليهود، ذوي الأصل الأوروبي، الذين عملوا في خدمة السلطان، وأصبحوا على قدر كبير من الأهمية حتى إن أرشيف القصر العثماني يدلنا على وجود طاقمين منفصلين من أطباء البلاط، أحدهما مسلم والآخر يهودي.. لقد أدى عدد من هؤلاء الأطباء دوراً سياسياً مهماً؛ فاقترابهم من رجال السلطان ووزرائه ومعرفتهم باللغات الأوروبية والأحوال الأوروبية جعلهم نافعين للحكام الأتراك والرسل الأجانب، وقد مكنهم ذلك من إحراز مناصب نفوذ وقوة، حتى إن بعضهم كان يُرسل إلى الخارج في مهمات دبلوماسية»[٧].

وهكذا كان وجود الدولة العثمانية من أسباب السعد التاريخية الكبرى على اليهود، ليس فقط على مستوى إنقاذهم من الإبادة، بل على مستوى إنعاش وضعهم الاقتصادي والاجتماعي.

وهذا ما يقرره المستشرق الفرنسي المعروف «أندريه ريمون» بقوله: «إن إنشاء الإمبراطورية العثمانية كان له بصفة عامة أثر إيجابي على مركز اليهود، وقد لجأ العديد من اليهود إلى البلاد الإسلامية للاحتماء بعد طردهم من إسبانيا أو هروبهم منها، وذلك خلال الفترة بين عامي ١٤٩٢ و١٤٩٦م ثم في القرن السادس عشر.. وقد مارس اليهود في المدن العربية الكبيرة، حيث تمركزت جاليتهم، أنشطة متنوعة: من المعروف أن أشغال المعادن الثمينة وأعمال الصرافة هي مهنتهم التقليدية، وفي القاهرة كانت حارة اليهود تقع في قلب المدينة بجوار الصاغة، كما كان اليهود يعملون أيضاً في دار سك النقود، وكانوا يقومون بدور نشيط في التجارة الخارجية؛ إذ كانوا يصدرون المنتجات المحلية ويستوردون المنتجات الأوروبية، وذلك بفضل علاقاتهم مع اليهود الأوروبيين، وتمكنوا بفضل رؤوس الأموال التي جمعوها من القيام بأنشطة بنكية في البلاد التي كانت البنوك فيها غير متطورة»[٨].

بقي لنا مقال سادس وأخير نختم به هذه السلسلة، فالله الموفق والمستعان.■

الهوامش

(١) هاملتون جب وهارولد باون، المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة ودراسة: أحمد إيبش، ط١ (أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ٢٠١٢م)، ٣٠٨/٢.

(٢) برنارد لويس، اسطنبول: وحضارة الخلافة الإسلامية، ترجمة وتعليق: سيد رضوان علي، ط٢ (جدة: الدار السعودية، ١٩٨٢م). ص١٣٥.

(٣) برنارد لويس، اكتشاف المسلمين لأوروبا، ترجمة: ماهر عبد القادر، ط١ (القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٦)، ص١٢٢، ١٢٣.

(٤) ميخائيل فنتر، علاقات اليهود مع السلطان والمجتمع غير اليهودي، ضمن: "تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية" تحرير: يعقوب لاندوا، ترجمة: جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠)، ص٤٧٢.

(٥) ج. هـ. جانسن، الصهونية وإسرائيل وآسيا، مرجع سابق، ص١٦.

(٦) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سابق، ص٤٨٩، ٤٩٠.

(٧) برنارد لويس، اكتشاف المسلمين لأوروبا، مرجع سابق، ص٢٦٦.

(٨) أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة: لطيف فرج، ط١ (القاهرة: دار الفكر للدراسات، ١٩٩١م)، ص٨٤، ٨٥.

محطات إيمانية في طريق التربية (١٣)

النبأ العظيم

إنه أعظم نبأ، وأصدق نبأ، وأهم نبأ، هو للأولين والآخرين، والمؤمنين والكافرين، للشيوخ والشباب، والرجال والنساء، وللجنّ والإنس، أرسل الله من أجله الرسل، وأنزل الكتب، ووضع الميزان، وعلم الإنسان البيان؛ ليحسن التلقي ويتم التمحيص والابتلاء، ويظهر صدق العاملين بما علموا حين تُبلَى السرائر، وقد ذكره الله تعالى في كتابه، وأعد للمؤمنين به أعظم الجوائز، الرضا والخلود السرمدي في جنات النعيم.

إيمان مغازي الشرقاوي

قال تعالى: (عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾) (النبأ)، والنبأ في اللغة يعني الخبر، وهو هنا خبر البعث بعد الموت كما ذكر قتادة، وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يبلغه الناس، فقال له: (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾) (ص)، قال السعدي: «أي: ما أنبأتكم به من البعث والنشور والجزاء على الأعمال، خبر عظيم ينبغي الاهتمام الشديد بشأنه، ولا ينبغي إغفاله» (تفسير السعدي)، ولِمَ لا يكون عظيماً وقد ورد إلينا ذكره من الله العظيم في آيات عديدة، كما في قوله: (وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾) (الأنعام)، (وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾) (الحج)، (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾) (المؤمنون)، وساق معه الأدلة الحسية والعقلية التي تؤدي إلى التصديق به واليقين بوقوعه، كما في قوله: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) (الروم: ٢٧)؟!

لِمَ لا يكون عظيماً؛ وهو يومٌ يقوم فيه الناس من قبورهم حفاة عراة غرلاً، قياماً طويلاً في أرض المحشر لا يعلمون أين مآلهم ومستقرهم؟! (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾) (المطففين).

لِمَ لا يكون عظيماً؛ وفيه تعرض الأعمال على الله وتُحاسب كل نفس بما عملت، وتتطاير الصحف، ويوضع الميزان، ويُنصب الصراط، والنبي ﷺ يدعو ويقول: «رب سلِّم، رب سلِّم» (رواه البخاري).

لِمَ لا يكون عظيماً ومن هوله وشدته تنقطع أواصر القربى وروابط المودة: (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾) (عبس)، فمن آمن به يقيناً عمل له، ومن عمل له سعد وأفلح وفاز في الدنيا والآخرة.

الإيمان بالبعث بعد الموت:

ولا يتم الإيمان ويكمل بغير الإيمان بالبعث يوم القيامة، قال تعالى: (وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾) (النساء)، وقال النبي ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع؛ يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر» (صحيح ابن حبان)، وقد ذكر ابن كثير في تفسيره أن الله أمر نبيه ﷺ أن يقسم بربه، عز وجل، على وقوع المعاد ووجوده، وذلك في قوله: (وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾) (يونس)، وقوله سبحانه: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ) (سبأ: ٣)، وقوله عز وجل: (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾) (التغابن).

إن العدل الإلهي يقتضي أن يأتي يومٌ يُبعث فيه العباد للحساب والجزاء، حيث يتفاوت الناس في الدنيا بين مؤمن بالله وكافر، ومطيع له وعاص، وظالم ومظلوم، كما أن فيها المبتلَى والمعافَى، والفقير والغني، فهل يستوي هؤلاء جميعاً أمام الله عز وجل في الحساب؟ قال تعالى: (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾) (القلم)، ومتى يجازَى

المحسنون ويعاقَب المسيؤون إذا كانت حياة كل منهم تنتهي بالموت؟ لقد ذهبت إذاً حكمة الخلق والابتلاء، وبالتالي الثواب والعقاب، والجنة والنار! فعلامَ يعمل العاملون إن لم يكن لهم لقاء بالله الذي أحبوه وعملوا من أجله؟ وما الذي سيردع العادين عن غيّهم وعدوان نفوسهم إن لم يكن هنالك عتاب وعقاب ووقوف للسؤال والحساب بين يدي العزيز الجبار؟! وقد قال تعالى: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾) (الجاثية).

الإيمان بالبعث وأثره في تزكية النفس:

والإيمان بالبعث والحساب له أثره ودوره التربوي في تزكية النفس وإصلاحها والارتقاء بها، فهو طريقٌ لصلاح القلب الذي هو ملك الجوارح، وهي تصلح بصلاحه، ومن هنا وجب على الوالدين والمربين وأولي العلم الاهتمام بغرس المفاهيم التي تؤدي لتقوية اليقين والإيمان بيوم القيامة.

وتبدأ التربية منذ الصغر وبأمورٍ مبسطة ودون تعقيد، فمثلاً ما نشاهد من تساقط أوراق الأشجار في فصل الخريف إنما هو موت لها، ويبعث الله فيها الحياة حين يأتي موسم الربيع، وما ازدهار الورود وفوح عبيرها من بعد ذبولها وموتها إلا حياة وإحياء لها، وما نومنا بالليل وفي أي وقت إلا موت لنا، والاستيقاظ منه بعث لنا وحياة، وإن الله تعالى القادر على الخلق ابتداء لهو أقدر على الإعادة وهي أهون.

كما أن خلق السماوات والأرض وما فيها من آيات ودلائل تؤكد أن البعث هين على الله، فإذا ما تأكدت هذه المفاهيم وثبتت يقيناً في القلب فإنها سرعان ما تتحول إلى طاقة من العمل والسعي، وشحنة إيمانية قوية دافعة للمزيد منه، تدعو للاستعداد له.

من الدروس التربوية للإيمان بالبعث:

- أن من آمن بالبعث علم يقيناً أنه ميت، وأن جميع الخلائق ستموت، قال تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾) (الرحمن)، لكن الموت ليس نهاية له، بل هو بداية الطريق لدار الخلود السرمدي، حيث الراحة والسعادة في جنات النعيم، فأعدّ لذلك العدة وشمّر لها.

- ومن آمن بالبعث أيقن أن الله على كل شيء قدير، وأنه سبحانه حيّ لا يموت، فيتوكل عليه ويثق بقدرته، قال تعالى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ) (الفرقان: ٥٨)، قال ابن عاشور: «في الآية إشارة إلى أن المرء الكامل لا يثق إلا بالله؛ لأن التوكل على الأحياء المعرضين للموت وإن كان قد يفيد أحياناً لكنه لا يدوم».

- ومن آمن بالبعث علم أنه لم يخلق عبثاً، وأن بعد الدنيا داراً آخرة، فيها الخلود الأبدي، فعمل لها ولم يغتر بدنياه، قال تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾) (المؤمنون).

يوم البعث من مقتضيات العدل الإلهي حيث فيه الحساب والجزاء لتفاوت أعمال الناس في الدنيا

على المربين الاهتمام بغرس المفاهيم التي تؤدي لتقوية اليقين والإيمان بيوم القيامة في نفوس الأبناء

من آمن بالبعث أيقن أن الله على كل شيء قدير وأنه سبحانه حيّ لا يموت فيتوكل عليه ويثق بقدرته

- ومن آمن بالبعث استعد للوقوف بين يدي ربه للسؤال، فأعد العدة لذلك بتقوى الله وطاعته وخشيته، قال تعالى: (وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾) (النحل)، قال ابن عاشور: «والسؤال كناية عن المحاسبة».

- ومن آمن بالبعث نبذ الأهواء المضلة واتبع القرآن والسُّنة، وعدل في حكمه، وحسن في خلقه، وتأدب في معاملاته بأدب الشرع.

- ومن آمن بالبعث ازدادت خشيته لله ومراقبته في كل وقت، وصدق في ظاهره وباطنه، فهو يوم قال الله عنه: (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾) (الطارق)، «والسرائر: جمع سريرة، وهي ما يُسرّه الإنسان ويُخفيه من نواياه وعقائده، وبَلْو السرائر: اختبارها وتمييز الصالح منها عن الفاسد، وهو كناية عن الحساب عليها والجزاء» (تفسير ابن عاشور).

- ومن آمن بالبعث أكثر من الأعمال التي تثقل ميزانه، قال تعالى: (فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾) (القارعة).

- ومن آمن بالبعث اطمأن إلى عدل الله، فإن عجز عن تحصيل حق له، أو عجز عن دفع الظلم والأذى عن نفسه، فإن الله سينصفه من ظالمه ويرد عليه حقه، وقد قال لنبيه ﷺ: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾) (الزمر)، قال ابن عباس: «يخاصم الصادق الكاذب، والمظلوم الظالم، والمهديّ الضالّ، والضعيف المستكبر» (تفسير ابن كثير).

- ومن آمن بالبعث فإنه يسارع برد المظالم إلى أهلها، وقد قال النبي ﷺ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه» (رواه البخاري)، وقال: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» (رواه مسلم).

ومن آمن بالبعث فإنه يجعل الآخرة همّه؛ فيجتنب ما يغضب الله، ويفعل ما يرضيه، يحاسب نفسه ويتزين للعرض الأكبر.

ولا يزال لرحمة الله راجياً، ولجنته طالباً، ومن النار هارباً، يأمل لقاء من يحب من أهله وخلانه الذين فارقوه بالبعد أو الموت، ويشتاق للقيا خير الأحبة محمد ﷺ، وصحبه.■

الزواج الثاني.. تساؤلات بلا ردود

لقد وصلتني عدة رسائل على فترات متباعدة من بعض القراء الكرام، وكنت قد تناولت إحداها في أعداد سابقة، ولكن بعد توارد عدة رسائل عن الموضوع نفسه، وهو الزواج الثاني، وكل رسالة تتناوله من وجهة نظرها، أيقنت مدى التراكمات النفسية التي تعاني منها مجتمعاتنا العربية، وكيف أنها تصوغ الحقائق على هواها بل وتفهم الدين بمقدار احتياجاتها.

لذا سأترك لك أيها القارئ الكريم المجال لتستنبط بذكائك -من خلال هذه الرسائل التي سأعرضها عليك دون إجابة مني- كيف يمكن أن تعاد صياغة منظومة علاقتنا طبقاً لمفاهيم الإسلام، وعدم خلط العادات والتقاليد، وتقييم الناس كحكم أعلى من الشرع!

فاسمح لي أيها القارئ الكريم أن أعرض عليك بعضاً من هذه الرسائل، يعبر كل منها عن زاوية تفكير وتناول وتفاعل مختلفة في هذا الأمر، وأترك لعقلك الذكي استكناه أبعاد كل منها، واستجلاء إشكالياتها والمشاركة في سبر أغوارها واقتراح الحلول المناسبة لها.

أ.د. يحيى عثمان

يمكنك إرسال استشارتك على أحد العنوانين البريدين التاليين:
info@mugtama.com
y3thman1@hotmail.com

الرسالة الأولى:

أنا زوجة جمعتني وزوجي قصة حب منذ أن كنت بالجامعة، فهو الأخ الأكبر لصديقتي، وكان يكبرني بثمانية أعوام، وهو مهندس ناجح، وتزوجنا منذ ١٥ عاماً، وقرر زوجي تأسيس شركة خاصة به، وكان قد أهداني العديد من الهدايا الذهبية فهو كريم جداً، فاقترحت عليه بيعها بالإضافة إلى ميراثي، والحمد لله نجحت الشركة وعوضني زوجي أضعافاً كثيرة عن مساهمتي بالشركة، بالإضافة إلى مناصفتي له فيها، رزقنا الله بابن وثلاث بنات بفضل الله متفوقون وعلى خلق طيب.

بكل صراحة، زوجي يفوق أحلام أي زوجة، فهو ملتزم بمعنى الكلمة، سخي في كل علاقته بي، يشعر باحتياجاتي فيبادر بل ويبهرني! حتى في ظل ظروفي الخاصة أكون متوترة فيغمرني بعواطفه، أب مثالي يتابع معي بل أكثر مني الأولاد، ورغم مشاغله فهو يقرأ في تربية الأولاد ومشكلاتهم وله علاقات متميزة مع كل واحد منهم، بالإضافة إلى علاقتنا العائلية والاجتماعية وتقدير واحترام من الجميع لكرمه وسمو خلقه، كما أنه يعتني

بنفسه وعقله وجسده، وأنا أقابل كل عطاءاته بالإشادة وأبذل له كل ما أستطيع؛ فكل يوم أشعره أنني أُزَفُّ إليه، مهما كنت مرهقة أو مشغولة بالأولاد؛ فهو يستحق مني فعلاً أن أجعله أولى أولوياتي.

كنا نعيش ولا في الأحلام، عزمني مؤخراً على العشاء كعادته كل أسبوع وصدمني بطلبه أن أوافق على زواجه من أرملة قريبة لي! كنت قد طلبت منه مساعدتها لتخليص مهمة لها، وهنا اسودت الدنيا في عيني، وكدت أهذي من وقع الصدمة:

– ماذا ينقصك؟

– لا شيء، أنت لست زوجة أنت حور عين، ولكنني أريد زوجة أخرى.

– إذن.. جزائي «جزاء سنمار»؟

– حبيبتي، لماذا تعقدين الأمور؟ لن ينقصك شيء، بل على العكس، احتسبي أجر أنك ستسعدين أختاً لك مسلمة.

– بل أحترق وتهدم حياتنا من أجل نزوة شيطانية!

– لماذا كل هذه الهواجس؟ أعوذ بالله أنا أريد الزواج وليس... أستغفر الله.

فقاطعته: حبيبي كفاك مزاحاً، معذرة أنني صدقتك، لقد أتقنت الدور، وها أنا ذا أكتشف موهبة أخرى في حبيبي أنه ممثل بارع!

– صفاء، أنا جاد فيما سمعت.

– إذن.. قد جننت! إن كنتَ قد هُنت عليك لهذه الدرجة، وقابلتَ تضحياتي معك بالخيانة وعدم الوفاء، أو أنك لم تحبني ومثّلت عليّ دور الزوج الولهان إلى أن وجدت من شغف حبها قلبك وأعماك عن الكارثة التي ستقدم عليها.. فكيف ستواجه أولادك؟!

– زواجي بأخرى لا يعني إطلاقاً أنني لا أحبك، أو أنه خيانة لك؛ فأنت حبي الأول.

– لا يوجد حبٌّ أول وثانٍ و.. الحب حب وحيد.

– حبيبتي، كلامك صح للزوجة المسلمة، أما الزوج فيمكنه أن يحب زوجة وثانية بل وثالثة ورابعة، وليس على حساب الأولى.

أما عن معرفة الأولاد، فما المشكلة في ذلك؟ وأرى أنه في إحدى نزهاتنا أنك أنت التي تخبرينهم بزواجي.

– حتى تعلم حجم مصيبتك! إنك لا تجرؤ على مواجهة الأولاد، نعم سأخبرهم بل سأبين لهم كيف هانوا عليك، وكيف قررت أن

> **زوجي يفوق أحلام أي زوجة فهو ملتزم بمعنى الكلمة سخي في علاقته بي يشعر باحتياجاتي فيبادر بل ويبهرني!**
>
> **أخبرتها بأن زواجي بأخرى لا يعني إطلاقاً أنني لا أحبك أو أنه خيانة لك فأنت حبي الأول**

تهدم سعادتنا، وكيف أنك فضلت امرأة أخرى على أمهم وعليهم، حبيبي أنا متأكدة أن هذه «الثعبانة» قد سحرت لك، دعنا نذهب إلى شيخ لـ...

– ما هذا الهراء؟ على كلٍّ، أنا سأتزوجها.

– لتشاركنا فيك وفيما نملك؟

– ستأتي برزقها المعنوي والمادي، من رزقني برزقك سيرزقني برزقها، وقد يكون قدومها بالبركة، أنا أحبك وليس في نيتي إحلال زوجة بإهمال أخرى، أو حتى زواجي بها سيكون على حسابك، فهي تحبك وتقدّرك، تعلم قيمتك عندي؛ فهي قد تنازلت عن حقها وقبلت أن...

– أي حق تتكلم عنه؟ أنت زوجي أنا ووالد أولادي، ولا يحق لامرأة أخرى أن تشاركنا فيك.

– حبيبتي، أنا لم ولن أقصّر معك، بل العكس، أعدك أن أعوّضك عن الوقت الذي سأكون معها ثم إنهم أولادنا.

وهنا لم أستطع استكمال اللقاء، فقمت قائلة له: معذرة، نعم هم أولادك، سآخذ «تاكسي» إلى بيت أهلي، ولو سمحت طلقني بدلاً من أخلعك، وأنا متنازلة لك عن أولادك، وحتى لو قررت التراجع فقد فقدت ثقتي بك بل فقدتك، وسأتقبل العزاء فيك.

الرسالة الثانية:

«كم أنت ظالم أيها المجتمع!»، هكذا وبدون أي مقدمات بدأت رسالتها فهل معها الحق؟ ثم تابعت: أنا سيدة في الخامسة والأربعين من عمري، تحابيت وزميل لي في المرحلة الجامعية، وللأسف لم يكن يصلي، وكان يعدني أنه سيصلي، ولحبي له كنت أصدقه، وكان يشفع له دماثة خلقه، وتقدم لي بعد تخرجه وعمله مع والده في تجارته، ورزقنا الله ببنتين، ورغم أنه كان يوفر لنا معيشة مادية عالية، فإننا كنا نفتقده؛ لأنه كان بعيداً عن الله بل انحرف في طريق الشيطان وتدهورت حالتنا، وانفصلنا منذ عشرة سنوات، واضطررت أن أعمل لأعول ابنتيّ، وهنا بدأت معاناة أخرى! فالرجل غير الملتزم يرى في المطلقة لقمة سهلة، وكأنها أرض عطشى لأي ساق، منتظرة من يمنّ عليها! أما من يدعي أنه ملتزم، فليس لديه مشكلة لإشباع نزواته في إطار شرعي –نعم نزواته وليس إقامة حياة زوجية– مجرد شاهدين من الشارع والإيجاب والقبول وأصبحت حلالي! في الظل لك فضل وقتي ومالي إن بقي لك شيء، ويكفيني تصدقي عليك وحصنتك بدلاً من... أي جور هذا؟ ولا يتقدم عن طريق الأهل إلا النطيحة والمتردية!

وهروباً من الذئاب البشرية، قررت أن أقبل بأحدهم فيغمرني بسلسلة من التحقيقات عن زواجي وطلاقي ونظرات المنّ، فهناك عشرات من الفتيات اللائي يتمنينه، هذا عن الرجال، أما النساء: لماذا تطلقت؟ وكأنني مطالبة أن أقدم تقريراً عن خصوصياتي، أما قبولي في مجتمع النساء فعليه محاذير، وكأنني عقدت الشباك لأوقع بأي زوج في غفلة من زوجته، وأصبح حديثهن عن مساوئ أزواجهن، وما يعنيني من العوز المادي والمعنوي! ومنذ طلاقي وقد دفنت أنوثتي وطلقتها هي الأخرى مع مأساة زواجي.

لكن شاء الله أن ألتقي به، مهندس بإحدى الشركات التي تتعامل شركتي معها، جمعتنا لجنة عمل، أدت إلى مصارحته لي بحبه ولا أنكر أنني كنت قد تمنيت وتهيأت بل وتوقعت ذلك، فهو به كل المزايا التي افتقدتها في والد البنات.

– ولكن أنا متزوج وهنا المعضلة!

– ما المعضلة في ذلك؟ الشرع أباح لك وهذا حقك.

أنا لا أطالبك بإحلالي محل زوجتك –أعوذ بالله– لتبقى زوجتك بكل تقديري

لها، ورغم أن إعلامك لزوجتك ليس شرطاً لصحة زواجك بي فإنني لا أقبل أن تخفي عنها زواجنا.

– دعينا نتزوج ثم تدريجياً أخبرها بدلاً من...

– ثمّ إذا ما عرفت وثارت أدفع أنا الثمن بأن تُلقي بي، أنت رجل وعليك أن تدافع عن حقك، ما دمت لن تغضب الله وتظلمها، ولكن دعني أسألك: كيف تُطلق لعواطفك التفاعل معي، وتهيئ لي الانسياق؟

– مهلاً، أنت على علم بأنني متزوج، ولا تدعي براءة الفتاة وكأنني ورطتك...

– هل فجأة اكتشفت أنك متزوج؟! ما المشكلة في ذلك؟

وتركته قائلة: عندما تكون رجلاً وتتمكن من استجداء قرار زواجك من زوجتك! فأهلاً بك.

وهرعتُ إلى صدر أمي، وقد أدركتُ صدمتي، فبادرتني قائلة: ألم أقل لك: ابتعدي عن المتزوجين؛ حتى لا تُتهمي بأنك «بتبوجي الريابيل» (تسرقين الرجال)!

أمي، هل أنا وجدت عزباً أو مطلقاً مناسباً ورفضت؟! ثم إنني لم أنزل لمحل يبيع رجالاً للزواج واخترت رجلاً متزوجاً، أقدار الله ساقت لي رجلاً متزوجاً، وليته كان رجلاً قادراً على الزواج، هو يريد ألا يصيب ذات العصمة بأي توتر ويتمتع بي في الحلال دون أن تهتز صورته أمام المجتمع، الذي يغض الطرف عن الحرام ما دام لا يعلم، بل إنه لا يريد أن يعلم ويصب اللعنات على حق الرجل في الزواج الثاني، ويتهمه بالخيانة وعدم الوفاء ونكران الجميل و.. ويتهمني وأمثالي بالتطفل وخراب البيوت! حقاً إنه مجتمع ظالم.

الرسالة الثالثة:

أنا أستاذ جامعي في منتصف العقد السادس، تزوجت منذ ثلاثة عقود بقريبة لي، بناء على ترشيحات العائلة، عشنا حياة هادئة تهتم زوجتي بعيادتها ومرضاها وأنا منهمك في أبحاثي، ورزقنا الله بولدين، ونظراً لانشغالنا تولى كل منا ولداً، فأصبح أحدهما طبيباً، نفس تخصص والدته، والآخر يحضّر الدكتوراه بالكلية التي أعمل بها.

الرجل غير الملتزم يرى في المطلقة لقمة سهلة كأنها أرض عطشى لأي ساق تنتظر من يمنّ عليها

كانت زوجتي حتى لا تزعجني تنام بمفردها وكنت أزورها كلما اشتقتُ إليها وكثيراً ما تكون مرهقة

شاء الله أن أنعم بزواجي الثاني أنا وزوجتي الأولى كما أنعم وزوجتي الثانية

العلاقات بيننا كأننا جميعاً نعيش في فندق، بل إن علاقة كل منا بأم محمد مديرة المنزل، هي الأهم لأنها تعلم احتياجات كل منا وتلبيها بكفاءة.

أما علاقتي وزوجتي فقد آلت الأمور إلى التيبس منذ حوالي خمس سنوات، فمنذ سنوات وأنا أطلب منها الاكتفاء بالعمل في المستشفى صباحاً ولا داعي للعيادة التي تنتهي بعد أن أكون قد خلدت للنوم، ودائماً ما يكون ردها: الطب رسالة، وسعادتي أن يستعملني ربي لأخفف آلام مرضاي وأجر الكشف لديها رمزي، لدرجة أنها حتى لا تزعجني بدأت منذ أكثر من عشر سنوات تنام بمفردها، وكنت أزورها كلما اشتقت إليها، وكثيراً ما تكون مرهقة، حتى تكاسلت، وأصبحت أم أولادي الدكتورة الناجحة الطيبة وكفى.

منذ حوالي ستة أشهر عادت إحدى الزميلات من إعارة لها بالخارج بعد أن قضت حوالي عشر سنوات، وهي تعتبر تلميذتي، ودائماً ما كانت تفتخر بذلك حيث درست لها وأنا معيد، ثم حضرت معي درجة الماجستير ثم أتمت الدكتوراه بالخارج، هي في نهاية الأربعينيات من عمرها لم تتزوج، تبدو أصغر بكثير من سنها، جمعتنا مناقشات علمية، ثم شخصية ثم... وجدتني حريصاً على اللقاء بها، وبدأت الشمس التي كادت تغرب ترجع للوراء وتتربع في كبد السماء وتوقظ كوامن النفس، أيضاً هي بدأت تأتي بشكل جديد، وفعلاً طلبت منها الزواج فرحبت وقالت: ماذا عن زوجتك؟

كدت أقول لها: إنني غير متزوج، ففعلياً أنا كذلك، لكنني تذكرت أنني متزوج السيدة الفاضلة دكتورة البر والإحسان، فشرحت لها كيف نعيش في بيتنا وأنها لن تعبأ بهذا الأمر، فهي لا تعلم إن كنت بالمنزل أم بالخارج، بل أتوقع أنها سترحب حتى تزيل عن كاهلها عبء الوفاء بالحقوق الزوجية إن كانت متذكرة أنها متزوجة! وفعلاً اتفقنا على كل ترتيبات الزواج، ولكنني آثرت ألا أخبر زوجتي.

فرحبت بذلك، واستسمحتني بأن أمها مريضة ولا تأتمن عليها الخادمة، وتريد أن تكون بجانبها.

تزوجنا، وأخبرت زوجتي بأنني مسافر رحلة علمية، وكم كانت فرحتي باكتشافي أنني ما زلت شاباً، وكنت تقريباً يومياً أزور زوجتي الجديدة، وقد تغيرت حياتي مع برنامج صحي متكامل.

ولاحظت زوجتي الأولى! وفاجأتني بأنها بدأت تعتني بنفسها، وفوجئت بشوقي لها، فأرسلت لها رسالة غرامية، وأهديتها مزهرية ورود حمراء، ودون استشارتها حجزت رحلة ثلاثة أيام، ورجوتها صحبتي، فاستجابت وكم كانت بهجتنا بعودة الحياة لبيتنا وأسعد ذلك زوجتي الثانية، بل كانت تشتري لزوجتي الأولى بعض الملابس الخاصة، لكن! بدأت زوجتي الأولى تتساءل عن وقتي؟

فأخبرتها بزواجي منذ أكثر من عام! وإن عودة الروح لنا بسبب هذه الزوجة المباركة، وإنها ستسعد بل تتوق للتعرف عليك وقد أصبحنا أسرة واحدة.

وكانت المفاجأة! فقد تحولت إلى «لبؤة» تدافع عن عرينها، فتركتها في ثورة عارمة تهذي!

لقد كنا فعلاً منفصلين منذ سنين، وشاء الله أن أنعم بزواجي الثاني أنا وزوجتي الأولى كما أنعم وزوجتي الثانية، ماذا يضيرك؟ بل الخير كل الخير لنا جميعاً بزواجي الثاني.

كيف تبرر أستاذي الكريم تصرف زوجتي؟ ألا ترى معي أنها أثرة النفس وحب التملك.■

مقال

بقلم: د. يوسف السند

المعايير الإيمانية والتربوية للمؤسسة الربانية (٥)

الصدق.. المصداقية.. الشفافية

النور الثاني عشر من أنوار الفطنة كما عده الراشد حفظه الله صاحب كتاب «العوائق» هو: المبالغة في الصدق يوم الفتنة..!

لا شك ولا ريب أن مؤسسة ربانية تريد الخير وتدعو للخير لا بد أن تعتمد الصدق معياراً ونوراً وهادياً لها في تعاملها وتعاطيها مع الأحداث صغيرها وكبيرها، فتزدان بالمصداقية، وتتصدر بأدق معايير الشفافية حال فحصها لتجديد اعتمادها أو لم تتعاقد مع من يجدد اعتمادها.

يحدوها قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾) (التوبة)، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «دع ما يَريبك إلى ما لا يَريبُك، فإنَّ الصِّدقَ طُمأنينةٌ وإنَّ الكذبَ رِيبةٌ» (رواه الترمذي وهو صحيح).

فالمؤسسة الربانية إدارة وأفراداً قد جعلوا الصدق رائدهم في جميع معاملاتهم ومشاريعهم وعلاقاتهم ووعودهم وعهودهم وعقودهم، مقتنعين أنهم بغير الصدق والمصداقية والشفافية لم يبلغوا الجودة والتميز، ولن يصلوا إلى رؤية يحلمون بها أو رسالة تنافسية يسعون لها ويخططون.

ويجب أن يتمثلوا الصدق بالآتي:

- الصدق مع النفس بالمحاسبة والمراقبة والمتابعة من تصحيح القصد والنية، والعمل إلى إنكار الذات والتواضع برغبة جامحة للتطوير الذاتي بما يواكب العصر والزمان والمكان، مبتغين ما عند الله والدار الآخرة؛ (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾) (القصص).

- الصدق مع الناس تعاملاً وعهوداً ووعوداً وعقوداً، لقد أحب الناس في مكة الصادق الأمين رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ورضوه حكماً أميناً يحكّمونه في قضاياهم ويضعون عنده أماناتهم، فقيادة الناس بالصدق تكون، والأمانة تزكو وتنمو وتزداد وتتطور، والصادق الواحد إنما هو قائد بل من صناع الحياة!

فهذا الإمام الدارمي يحدث عن شيخه الحافظ المحدث إسحاق بن راهويه الحنظلي فيقول: «ساد إسحاق أهل المشرق والمغرب بصدقه» (الراشد، العوائق).

- الصدق في الإدارة والتوظيف ومنح المناصب، فلا يتم ذلك إلا وفق معايير المؤسسة التي وضعتها وارتضتها للوصول إلى تطبيق رؤيتها ورسالتها الطموحة الواعدة المتناغمة مع قيمها؛ (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾) (يوسف)، (إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾) (القصص).

- صدق القيادة والتوجيه وحسن الإدارة؛ «بحيث لا يشعر الناس -إذ نقودهم- أننا نعاملهم من موطن فوقي أو عَبر حق ندّعيه ونحتكره دونهم، وإنما ندعهم يحسون أننا نحمل همومهم، ونتكلم بلغاتهم، ونتجانس مع عواطفهم، وندلي بالرأي لا بلهجة الآمر، وإنما بهيئة الناصح المشير الخبير، الذي ارتاد لقومه وأطّلعته الريادة على ما لا يعلمون» (الراشد، صناعة الحياة).

وصدق القيادة وحسن الإدارة مع الذي اختار العمل كعضو عامل في المؤسسة فيجب تعليمه وتطويره وتنمية قدراته وإرشاده ومتابعته حتى يخضع لمعايير العمل والالتزام في المؤسسة التي ارتضاها، والإنصاف مطلوب مكافأة وترقية أو محاسبة وعقوبة.

فوائد الصدق في المؤسسة:

- طاعة وانقياد لتوجيه كتاب الله تعالى وسُنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

- تشرف المؤسسة وتشرق بالصدق والصادقين، يقول إياس بن معاوية رحمه الله تعالى: «امتحنت خصال الرجال، فوجدت أشرفها صدق اللسان» (الراشد، العوائق).

- ازدياد ثقة الناس بالصادقين في جميع أنحاء الدنيا.

- اطمئنان الناس موظفين عاملين أو عملاء على حقوقهم الأدبية والمادية والإنسانية.

- الصدق برٌّ وهداية لكل العاملين والعملاء في المؤسسة الربانية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الصِّدقَ برٌّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّة، وإنَّ العبدَ ليتحرَّى الصِّدقَ حتَّى يُكتبَ عندَ اللهِ صدِّيقًا، وإنَّ الكذبَ فجورٌ، وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النَّار، وإنَّ العبدَ ليتحرَّى الكذبَ حتَّى يُكتبَ كذَّابًا» (رواه مسلم).

وصدق الله تعالى: (قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾) (المائدة).■

الأخيرة

أ. د. عماد الدين خليل
مفكر إسلامي وأكاديمي عراقي

العالم ينتظر البديل

في منتصف الخمسينيات بلغت الحضارة الغربية قمة منحناها، وكانت مقولة «أرنولد توينبي» حول تفوّقها، واحتمالات ابتلاعها للحضارات المنهارة التي تدور في فلكها، وبضمنها الإسلامية، أمراً معقولاً، وكانت قيادتها قد آلت إلى أمريكا، التي بدت بالمقارنة مع الدول الاستعمارية العتيقة، كبريطانيا وفرنسا، اللتين سامتا الشعوب المستضعفة المرّ والعذاب والابتزاز، وبالمقارنة مع الاتحاد السوفييتي بقسريته وآليته العاتية، بمثابة الدولة المحرّرة الواعدة بالخلاص!

كانت، بالنسبة للكثيرين من المبهورين بالحضارة الغربية، تمثل الوجه الجميل، وكانت أمريكا نفسها، من أجل التحقق بزعامتها، وإغواء دول العالم الثالث، والحلول محل الاستعماريات القديمة، تحرص على تلميع هذا الوجه، بحيث إن كتاباً كـ«أمريكا التي شاهدت» للشهيد سيد قطب، كُتب في تلك المرحلة (بداية الخمسينيات) يُسطى عليه من قبل المخابرات المصرية، ويُمنع نشره.

لم تكن أمريكا مستعدة لتشويه وجهها «الجميل» وهي مقبلة على تدشين قيادة العالم، وإخراج منافساتها من الساحة.

لكن بعد مرور أقل من عقد فحسب، وبخاصة في أعقاب اغتيال «كندي» وتسلّم «جونسون» السلطة، ومجازفة فيتنام، وانكشاف الوجه القبيح لأمريكا، واكتشاف دورها في العديد من الانقلابات العسكرية في دول العالم الثالث؛ تغيّرت الصورة، ولم تعد أمريكا نفسها تكتم تشويه صورتها، بعد أن تحققت بالقوة والسيطرة، بحيث إن رواية تؤلف بعنوان «الأمريكي البشع» تحكي عن مخازيها في فيتنام، تأخذ طريقها للنشر دون أن تكترث الجهات الأمريكية.

ثم تجيء المرحلة التالية، بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، وتفرّد أمريكا بقيادة العالم، تحت مظلة النظام الدولي الجديد، حيث لم تعد تكترث بأي صورة مشوهة قد تُعطى عنها، بل على العكس، إنها تتعمد، كما حدث في عهد «بوش» الابن، أن تكشف عن هذا الوجه لكي تقول للناس: ليس ثمة ما يتهددني.. فأنا سيّدة العالم!

على المستوى الحضاري، تغيّرت المعادلة، بعد أن وصلت الحضارة الغربية إلى الطريق المسدود، والآن فإن العالم ينتظر البديل، قصر الوقت أم طال، ولن يكون هذا البديل إلا إسلامياً، أو على الأقل مشاركة إسلامية في إعادة صياغة مصير العالم، فيما يعترف به ويؤكده مفكرو الغرب وكتّابه وفلاسفته، بعد أن درسوا كل صيغة واستعرضوا كل بديل فلم يجدوا فيها الجواب.

فنحن -إذن- المطالبون بصياغة المشروع الحضاري البديل وتقديمه للبشرية، بعد أن أخفقت كل النظم والمبادئ الغربية الواحدة تلو الأخرى: نظرية تفوق الرجل الأبيض، الاستعماريات العتيقة، الشوفينيات الكبرى، الوجودية، الماركسية اللينينية، ثم ها هو ذا النظام الرأسمالي يتعرض لاهتزازات عنيفة، ويصل إلى طرق مسدودة.

وإذا كان عالم الإسلام في خمسينيات القرن الماضي يلفظ أنفاسه، ويكاد يتلاشى في حضارة الغرب، فإنه اليوم يجد ذاته، أو -بعبارة أدق- يتحتم أن يجد ذاته، لأن العالم ينتظر منه إشارة الخلاص، وتلك هي سُنة الله في خلقه، ومداولة الأيام بين الناس.

إن محفّزات المحاولة كثيرة، ومن بينها وصول الحضارة الغربية إلى الطريق المسدود، وعجز النصرانية المحرّفة، وانقفال اليهودية، ولا واقعية البوذية والأديان الشرق أقصوية، وانهيار الوضعيات الاستعمارية، والشوفينية والوجودية والشيوعية، والهزّات العنيفة التي أصابت الرأسمالية، فضلاً عن وحدة العالم والتبادل السريع للتأثير في ظل العولمة، وازدياد الوعي وتراكم الخبرة، وتطابق مؤشراتها مع المعطى الإسلامي، وقوة الجذب في الإسلام، وانسجامه مع مطالب الإنسان، هذا إلى قيمة التوحيد الكبرى في هذا الدين باعتبارها عملاً تحريرياً في مجابهة كل صنوف الضغط، والابتزاز، والاستلاب، والقهر، والحتميات بأشكالها وصنوفها كافة.

ولكن، وبالتأكيد فإن هناك في المقابل معوّقات كثيرة لا يكاد يحصيها عدّ تقف أو ستقف في مواجهة المحاولة، بعضها يجيء من الداخل من مثل التشبث بالمظهرية الدينية بعيداً عن الجوهر والمغزى، وانعدام الثقة بالذات، وغياب الفقه الحضاري، وعدم اختيار عناصر التأثير في العقل والوجدان الغربي، وضياع أولويات العمل وخطط وبرامج التنفيذ، وإعاقة النخب المتغربة والزعامات المعادية للدين في الديار الإسلامية.

وبعضها الآخر يجيء من الخارج متمثلاً بدور الاستعمار الجديد والغزو الثقافي، والجهود الأسطورية التي تبذلها وترسم لها القوى الدينية المضادة صليبية وصهيونية.

لكن هذا كلّه لا يبرّر الكف عن المحاولة، ولا يدفع إلى وقفها عن المضي إلى أهدافها المشروعة لصالح الإنسان في العالم كله، فقط إذا خلصت النيّة وأحسنت صيغ العمل.■